1016
Harlequin
سلسلة قصص و روايات عبير
١٠١٦
دار النحاس

الخديعة

أنجيلا ويلز

liilas.com

hebawebas

الخديعة

liilas.com

انجيلا ويلز

حالما وقع نظر آيونا على الرجل اليوناني، الغريب والجذاب، عرفت أن ذلك يعني شيئاً واحداً... المتاعب! برغم ذلك، ما هي اختياراتها، وهي العالقة في بلد غريب، غير أن تذعن لطلبه المشين؟ على أي حال، اكتشفت آيونا سريعاً، أن خريستو فارانكسيس يريد منها أكثر مما ظنت في البداية! هل هي، فعلاً، مستعدة لتتنازل له كثيراً؟ وهل سيمكنها، أبداً، أن تكتشف الحقيقة المرة عن ماضيه، وهو ماضٍ في تصميمه لإخفاء ذلك عنها؟

hebawebas

liilas.com

«لماذا كذبت عليّ؟»

لمعت في عيني خريستو نظرة تهكم فيما آيونا تتكلم معه. «لأنك كنت سترفضين دعوتي، لو اخبرتك الحقيقة.»

«أخبرني، إذاً، يا خريستو، ما نوع العمل الذي تعرضه عليّ بالتحديد؟»

«إن المفتاح الذي سيسمح لي بالدخول إلى بلقادير ثانية، هو أن أبرهن على توبتي، وهل يوجد برهان أفضل، من أن اصطحب معي زوجة المستقبل؟»

hebawebas

الفصل الأول

«أتمنى أن تفهمي وتفرحي لأجلي!» هذا ما كتبه فيليب.

حدقت آيونا إلى الكأس الطويل الذي في يدها قبل أن تأخذ رشفة ثانية. إستبدلت قهوتها الباردة المعتادة بشراب آل غريكو الخاص والقوي. إبتسمت بحزن عندما تذكرت نظرة مانوليس المندهشة وهو يعده لها. حمدت ربها لأنها كانت حرة تلك الأمسية وليست مكلفة بالسهر على راحة السياح. شعرت أنها بحاجة إلى شيء يخدّر ألمها بعد أن استلمت الرسالة غير المتوقعة من الرجل الذي طلب الزواج منها منذ سنة تقريباً. ولسوء الحظ لم يكن العلاج فعالاً.

حاولت أن تؤاسي نفسها بتخيل الأشهر المقبلة التي ستقضيها في العمل مع الوكالة اليونانية للرحلات السعيدة في جزيرة كريت... الجزيرة التي حققت كل توقعاتها حتى الآن. سعلت عندما وخز الشراب حلقها وهي تأخذ جرعة ثانية منه قبل أن تستقر في مقعدها وتراقب المقصف الذي أخذ يزدحم بالزبائن القادمين لتناول المرطبات بعد العشاء.

حولت نظرها إلى مانوليس ولاحظت وجهه الشاحب والمنتفخ. كان عليه أن يزور طبيب الأسنان قبل عدة أيام عندما أحس بالألم أول مرة. بدلاً من أن يقاوم، ويأمل في أن يزول الالتهاب مع مرور الوقت. من الواضح أنه مايزال يتألم، فكرت آيونا وهي تراقبه يتصبب عرقاً. تمنت أن تكون هذه الأمسية هادئة حتى لا تزيد من توتره.

نظرت وراءها، عندما سمعت ضحكاً، أعلن عن وصول عدد من الشبان السويديين، واستدارت ثانية عندما رفع مانوليس صوته فجأة.

«إني آسف، لكننا لا نستقبل اليونانيين في هذا الفندق.»

«هل أنت متأكد؟» قال أحدهم بنبرة تميز بها أهل المنطقة. وبدا مندهشاً وغير مصدق. تسارعت نبضات قلب آيونا وشعرت بالتعاطف مع مانوليس، وأدركت الجو العدائي الذي نشأ بين الرجلين.

«هذا قانون الإدارة. نحن نستقبل السياح فقط.»

«هل أنت تقوم بذلك الآن؟»

تفحصت عينا آيونا الرجل الغريب، عندما هدرت كلماته المسالمة الهادئة والمهددة بإثارة المتاعب. كان بإمكان مانوليس أن يعالج المسألة بهدوء، لو كان في طبيعته. أما وهو في هذه الحالة، فمن الصعب أن يتحمل أي ازعاج مهما كان بسيطاً.

راقبته وهو يريح وركاً واحداً على كرسي عالٍ بينما بقيت قدمه الثانية مثبتة على الأرض. قدّرت طوله بأكثر من متر وثمانين سنتمتراً. في الواقع كان تأثير مظهره عليها مذهلاً. استمرت في مراقبته خفية ووجدت نفسها أسيرة ذلك. بدت شفتاه مملوءتين ومتناسقتين. توج شعره الأسود الداكن وجهه المشاكس، وكشف عن جبهة عريضة برغم جلوسه بعيداً عنها، استطاعت آيونا أن تدرك مدى قوة شخصيته وتعجرفه، أمرين، بالاضافة إلى بنيته المهيبة، يجعلانه يظهر كعدو مخيف.

هذا رجل خطير. قدرت ذلك وهي تحاول أن تسيطر على

الرعدة التي سرت في جسدها. لا بد أنه في مطلع الثلاثين من عمره. فكرت آيونا. هذا ليس بشاب صغير يتقبل الإهانة بسهولة، وليس بتاجر في متوسط العمر مستعد للهرب، عندما يجد نفسه في موقف حرج. كلا، هذا الرجل خطير من دون شك وحاولت أن تخفف من حدة توترها.

أحنى رأسه إلى الأمام قليلاً وثبت نظره على مانوليس كأنه يؤكد انطباعاتها عنه.

«بإمكانك أن تطردني إذا كان لباسي وتصرفي يزعجانك. ولن اعترض...» وبدا من نبرته أنه غاضب جداً. «... ولكن سأثير جحيماً قبل أن أطرد، لا لسبب.. إلا لأنني يوناني!»

وقف ليواجه الساقي عندما تكلم. أسند يده على الدرابزين بإحكام حتى ابيضّت مفاصل أصابعه من شدة الشد.

من المؤكد أن يظهر أحد الموظفين ويهب لنجدة مانوليس. مباراة في الملاكمة هو آخر ما يحتاجه الساقي في الوقت الحاضر! ألقت نظرة سريعة على الغرفة. لا أحد. إزداد بؤسها. هذا يعني أن عليها أن تتدخل وتعالج المسألة بنفسها، إذا كان هناك أمل في تفادي المتاعب. هذا أقل ما يمكنها أن تفعله للرجل الذي استضافها في بيته، منذ أن وصلت إلى كريت قبل ثلاثة أشهر.

وقفت وتنهدت عندما أدركت حتمية تدخلها. اقتربت من الرجلين وحاولت أن تلفت انتباههما بطقطقة كعبي صندالها العاليين.

«إني آسفة لتطفلي...»

بدأت تكسب بعض الوقت وهي تلهث، وقلبها يخفق بسرعة جنونية من جراء تدخلها المفاجىء، عندما أحست أن

الخلاف أصبح على وشك أن يتفاقم. أصبحت محط اهتمامهما فوراً. بلعت ريقها بصعوبة، وتوسلت كي ينزل عليها الوحي حتى وجدته. «أعتقد أن هذا الرجل أتى بناء على موعد معي.» ابتسمت لمانوليس الذي نظر إليها بوجه خالٍ من أي تعبير. «إني آسفة، مانوليس، كان علي أن أخبرك أنني أتوقع حضور زائر لمناقشة احتمال ترتيب بعض الرحلات البحرية لزبائن الفندق!»

«رحلات بحرية؟»

أدركت نظرة مانوليس الارتيابية، ولم تجرؤ على النظر إلى الغريب الذي بقي صامتاً قربها، ولكنها أصرت على إنقاذ مانوليس بموافقته أو من دونها. كانت هيئة إدارة الفندق متزمتة بشكل لا يصدق. وسيصرف مانوليس فوراً إذا حصلت أية مشاجرة حتى لو كان الحق معه.

«بالطبع، كان يجب أن أرتدي بذلة عملي.» أجبرت نفسها على الضحك وهي تنظر إلى ثوبها الأخضر الجميل، بكميه الطويلين وتنورته الفضفاضة الناعمة، والذي اختارته من ثيابها القليلة. «كنت جالسة هناك مستغرقة في تفكير عميق، وأخشى أنني لم ألاحظ وصولك.» بدا مانوليس رافضاً موقفها أكثر من ممتن. لاحظت ذلك وهي تحاول أن تسيطر على مخاوفها. استدارت لتواجه اليوناني الطويل الواقف بجانبها لأول مرة. «أنا آيونا فرانكارد من الوكالة اليونانية.» قالت بلطف: «كنت تبحث عني، أليس كذلك؟»

لم تتوقع أن يكون تأثيرها كبيراً عليه، وهو يتفحصها بسخرية متعمدة وبعينين زرقاوين داكنتين، تزينهما رموش كثيفة شائكة. شعرت بتورد وجنتيها، وشتمت

نفسها بصمت، لأنها وضعت نفسها في موقف حرج، هي بغنى عنه في هذه الفترة بالذات.

كان هذا الغريب ذكياً، بشكل كاف، كي يدرك بسرعة محاولتها في فض الخلاف بطريقة سلمية ومحترمة، برغم ذلك بدا غير راضٍ. تنهدت آيونا مرة ثانية بارتياح، عندما رأته يرخي قبضته المطبقة بإحكام، ويثني كتفيه المتصلبتين تحت قميصه الأزرق الباهت والضيق الذي أظهر تناسقهما.

«آيونا فرانكارد.» كرر اسمها بتهكم وأظهرت شفتاه الممتلئتان، أسنانه البيضاء الجميلة. «نعم، بالتأكيد لم ألاحظ ذلك عندما دخلت، ولكنك بالتأكيد الشخص الذي أبحث عنه!»

كان صوته مهذباً ورفيعاً. أزعجها وميض عينيه. تحدثت معه باليونانية، لكنه كشف جنسيتها فأجابها بالانكليزية. هل تعمد إهانتها؟ شجعت نفسها بقولها إنها استطاعت أن تتجنب الأزمة في أي حال. كل ما تبقى عليها الآن، هو أن تقدم لهذا المشاكس شراباً فيصون كبرياءه، ويلهيه لبعض الوقت بعيداً عن مانوليس.

طلبت لنفسها آل غريكو ثانياً بعد أن استجمعت قواها، ونظرت إلى الزبون غير المرحب به.

«كما قلت سأتناول كأس شراب.» قبل دعوتها بانحناءة، ووضع يده تحت مرفقها. «هناك.» أشار إلى طاولة شاغرة في آخر المقصف.

ومنحها ذلك، بعض الوقت حتى ترى مانوليس وهو يهز رأسه باقتضاب قبل أن تبتعد عن المقصف.

«هل كان ذلك ضرورياً؟» رفعت حاجبيها الناعمين، تسارت نبرة الاحتقار التي في صوتها بنظراتها التقييمية لملامحه الداكنة وهي تواجهه من فوق الطاولة.

«تعنين اصراري على اللهو في فندق عام؟» تلألأت عيناه ببريق غريب وأدركت تفحصه لوجهها الذي يعلوه شعر ذهبي ناعم. «أنا أبغض التعصب على أنواعه.»

«أنا أيضاً.» أكدت له ذلك فوراً. «لكن في هذه الحالة، كان مانوليس يقوم بواجبه فقط.» أزاحت كرسيها إلى الوراء قليلاً عندما أحست بنظراته اللاذعة تخترقها.

«هذا لا يعني انني موافقة على معاييرهم وأنني لم أفهم دوافعك تماماً... ولماذا كل الشبان اليونانيين يمتعضون من هذا الوضع. لقد رُفع هذا القرار حتى نتجنب ازدحام الحانة بالشبان اليونانيين الذين يبحثون عن...»

ترددت وشعرت بالاحراج من نظراته العبثية.

«يبحثون عما يريده معظم الشبان!» أنهى جملته بتملق. «الشيء نفسه، الذي تتشوق سيدات أوروبا الشمالية لأن يقدمنه. أليس كذلك؟»

هزت آيونا كتفيها. لم تكن تنوي أن تتورط في مناقشة حول الأخلاق مع هذا المتعجرف، مع أنها اعترفت في سرها أن بعض زبائنها، ومن النساء طبعاً، أظهرن القليل من التعصب والتمييز في علاقاتهن خلال العطلة الصيفية، إما من ناحية العدد أو النوعية.

«افتتح الفندق منذ ثلاثة أشهر فقط، ويبدو أن هيئة الإدارة متلهفة لأن تجعله يروق لزبائن الطبقة الاجتماعية الرفيعة وهو يلاقي رواجاً كبيراً من خلال وكالات

السفر.» قالت له بنفور: «هو أكبر فندق على امتداد الساحل ويجذب موقعه اهتمام الكثير من السياح. وكما تعتقد الإدارة، بأن الزبائن الأغنياء سيفضلون أن يمضوا أمسياتهم في مكان آخر إذا ما عرفوا بوجود هذا النوع من الشبان الطائشين في الحانة. ولذلك قرروا أن يمنعوا ارتياد كل المواطنين اليونانيين له، بدلاً من أن يميزوا بين يوناني وآخر.»

رفع حاجبيه الداكنين بسخرية. «هذا ليس بقانون مبهم فقط.» أجاب الغريب بهدوء: «بل منطق مشكوك فيه أيضاً.» ألقى نظرة شاملة بعينيه الزرقاوين حول الغرفة. «أعتقد بأن الكثير من السيدات الموجودات هنا مستعدات للترحيب بالشبان اليونانيين وبحرارة على الأقل.»

قررت أن تتجنب تعليقه مع أنها كانت تشاركه الرأي سراً. عبست آيونا. «في الحقيقة مانوليس ليس مسؤولاً شخصياً عن هذا القرار وليس من حقك أن تتشاجر معه.» قالت على نحو متكلف: «وكما ترى مانوليس ليس بصحة جيدة وربما لن يتمكن من الدفاع عن نفسه، إذا ما تعرض للاعتداء في الوقت الحاضر.»

«اعتداء!» قال بتوتر. ارتدّت آيونا إلى الوراء عندما أحنى جسده المواجه لها نحوها. «ولماذا اعتقدت بأنني أنوي الاعتداء عليه؟»

بدت الكآبة في عينيه الداكنتين كسماء الشتاء وهو يحرك يده الكبيرة بعزم حتى يطبق على قبضتها الصغيرة التي كانت ترتجف على الطاولة.

دهشت لأن توبيخها له أحدث ردة الفعل القوية تلك. رفعت

ذقنها بتحد عندما التقت نظراتهما، وأظهرت ثقة لم تكن تملكها.

«الأمر واضح جداً.» قالت بشجاعة: «كانت قبضتاك مطبقتين بإحكام وعضلاتك كلها مشدودة. لم تكن إلا مسألة وقت، قبل أن تبدأ هجومك...»

لم يقل شيئاً، لكنه استمر في تحديقه إليها بازدراء. أسفت لقرارها المتهور الذي وضعها مع هذا الرفيق القاسي. ولم تكن متأكدة من أن مانوليس قد قدر جهدها أيضاً! أو أنه فهم حيلتها على الرغم من نواياها الحسنة.

لو أنه يسرع فقط بخدمتها، حتى يمكّنها من الهرب من هذا الفخ الذي نصبته لنفسها!

إزداد توترها بسبب جرأة رفيقها وتنهدت. لم تكن هذه أول مرة تقودها فيها عاطفتها إلى الوقوع في متاعب. لكن عليها في هذه اللحظة أن تتصرف بتحفظ وتظهر شجاعتها.

«حسناً، إذا كنت تنكر ذلك، ربما كنت مخطئة. ولكن هذا ما أدركته من تعابير وجهك.» لاحظت ملامحه العدائية.

«كنتِ مخطئة.» كان صوته أقل حدة وهو يرخي قبضته المشدودة على يدها. «يبدو أنك لست خبيرة بقراءة الملامح، لا أنكر أنني كنت غاضباً، لكنني لم أكن أنوي أن أضرب حبيبك قط.»

«مانوليس ليس حبيبي.» أزعجها شعوره هذا بالتفوق، وكانت إجابتها أكثر حدة من تعليقه، إنما لم يعد في وسعها التراجع. «إنه رجل متزوج وأب لأربعة أولاد.»

«رائع! إذن لا داعي لأن أخشى غيرته.» ابتسم رفيقها

لأول مرة منذ أن جلسا إلى الطاولة. «والآن بما أننا على وشك أن نمضي السهرة معاً وبإيحاء منك. اسمحي لي أن أقدم لك نفسي. اسمي خريستوس فارادكسيس.»

«عزيزي السيد فارادكسيس...» أثارت مغناطيسيته أعصابها، وهو ينظر إليها بطريقة عبثية، وأستعدت للدفاع عن نفسها.

«خريستو، من فضلك.» لاطفها بلطف. «بما أننا على وشك أن نعقد صفقة عمل.»

«لكن هذا ليس صحيحاً!» يجب أن تلغي هذه الفكرة فوراً. «أنا لا أنوي أن أمضي بقية السهرة معك. يجب أن تعرف أن السبب الوحيد الذي حثني على التدخل هو أن أمنعك من افتعال المشكلات، وهناك استثناء واحد يتعلق بوظيفتي. أنا أمثل شركة سياحية كبرى وأقيم في هذا الفندق. وبإمكاني أن أمضي بعض الوقت مع رجال الأعمال اليونانيين الذين يرغبون في التعاقد معنا.» سمحت لنفسها أن تبتسم. «منحوني هذا الحق لأنني امرأة. على كل حال، عندما تنتهي من شرابك والذي تعتبره إلزامياً، اهتمامي بك ينتهي! بإمكانك أن تأخذ سلاحك معك إلى المكان الذي جئت منه.»

«هل ندمت على تصرفك الشجاع، يا حبيبتي؟» تفحصها وهو مستغرق في تفكير حالم، وشعرت بيده تزيح شعرها عن جبينها. «أنا متأكد أنك كنت تفضلين رؤيتي وسكين مانوليس مغروزاً في قلبي بدلاً من أن أرحل مع سلاحي منتصراً.»

لم تكن عديمة الحس لهذه الدرجة، ولكنه قدّر مشاعرها جيداً، ولم تستطع إنكار ذلك. من ناحية أخرى، كيف تجرأ

على مناداتها... حبيبتي بتلك الطريقة وكأنها مدينة له بمنة، مع أن الوقائع معكوسة؟

«لقد سبق وقلت...» بدأت تعترض، ولكنه إنقض على كلامها ليحرف معناه قبل أن تنهي جملتها.

«مانوليس ليس حبيبك؟» هز رأسه برضى تام. «لقد تذكرت، ألديك حبيب؟»

«ليس الآن.» نطقت بسرعة قبل أن تدرك مغزى سؤاله الوقح، والذي كان من الأفضل لها أن تتغاضى عنه. أدارت رأسها بعيداً عنه بغضب شديد لأنها لم تتمكن من السيطرة على نفسها. لقد فوجئت عندما أعلن فيليب عن فسخ الخطوبة ولم تتوصل بعد إلى أن تفهم موقفه ولكن...

عضت شفتها وارتاحت عندما دنا منهما مانوليس حاملاً معه شرابهما، مما خفف من توترها.

«هو يوناني، أليس كذلك؟» إنتظر خريستو فارادكسيس حتى انسحب مانوليس قبل أن يطرح عليها السؤال العرضي.

«انكليزي.» قالت بتهذيب وصممت على ألا تخوض معه في مناقشة رأيه حول نساء أوروبا الشمالية. «لا أريد أن أناقش شؤوني الشخصية معك.»

«إذن سنتكلم عن شيء آخر.» أفرغ كأسه قبل أن يضعه على الطاولة. «ماذا تفترحين... رحلات بحرية؟»

«لماذا، هل لديك مراكب للايجار؟» قالت بسرعة وقد مسحت ابتسامته المصطنعة والساخرة، المرتسمة على فمه المثير.

هز رأسه: «سيكون من السهل ترتيب ذلك.»

«حسناً. إذا كانت عندك اتصالات مفيدة، سأدون أسماءهم بالتأكيد.» همت بالوقوف ولكنه منعها بوضع يده على ذراعها.

«سنتكلم عن هذا الموضوع لاحقاً. أرغب في احتساء شراب آخر هل تتفضلين بمشاركتي؟»

«بالطبع لا.» أبعدت يده عنها. «لا أنوي أن أبقى هنا، وأراقبك تسرف في الشراب طوال الليل، بما أنك أوضحت رأيك جيداً. عليك أن تنسحب بلباقة، وتبحث عن مكان آخر يقبل الترحيب بك.»

«ولكنني أشعر بالترحيب هنا.» حدقت عيناه الزرقاوان إلى وجهها بفتور، ثم استقرتا على جسدها المضطرب.

«بإمكانك أن تجلسي ثانية، يا حبيبتي. لا يمكنك تركي وحيداً بعد أن كفلت وجودي وبالطبع لا تتوقعين أن يطردني مانوليس بعد تلك الأكاذيب، أليس كذلك؟»

اللعنة على تشبث هذا الرجل! ترددت أيونا للحظة، ما بين حاجتها للهرب وأخذ الحذر، حتى لا تعرض علاقتها الحسنة مع الإدارة للخطر. يعتبر أصحاب الشركة السياحية أنفسهم محظوظين لأنهم حصلوا على عقد حصري لزبائنهم القادمين من انكلترا مع فندق آل غريكو الفريد من نوعه من حيث المأكولات والمشروبات. ومن الضروري أن تظل على علاقة وثيقة مع المدير العازم على إبقاء سمعة الفندق نظيفة، إذا أرادت أن تستمر في عملها هنا.

«هذا وضع مستحيل!» قالت وقد بدا الانزعاج الشديد عليها فيما أرجعت خصلة شعر منسدلة على الوراء.

«لست أنا السبب بذلك.» قال خريستو بهدوء وهو يلقي نظرة سريعة إلى الغرفة.

«من الأفضل لو ذهبت إلى حانة عادية!»

«بخلاف ذلك، كنت أبحث عن مكان راقٍ ويبدو أنني وجدته.» أشار إلى الكرسي الشاغرة. «اجلسي يا آيونا فرانكارد واخبريني عن نفسك، ما يزال الليل في أوله واحتاج إلى رفقتك الممتعة.» رفع يده ليستدعي الساقي الشاب الذي جاء ليساعد مانوليس مؤخراً.

أطاعته آيونا والغضب يتآكلها من الداخل، وما تزال غير متأكدة من نوع هذا الرجل الذي ربطت نفسها به وصممت على ألا تدعه يزعج مانوليس مرة ثانية. كان مدهشاً بوسامته وبملامحه التي تنتسب إلى المناطق الشرقية وراء حدود اليونان، إلى عالم البدو الصحراوي.

ميزاته تثير العديد من النساء وهذا ما يعلل تصرفه الوقح. قررت ذلك وأسفت لأنه يمثل صنفاً من الرجال يغالون في تعصبهم الرجالي ولأن خبرتها في التعامل معهم قليلة. إنه ليس من النوع العادي. نادراً ما كانت تفاجأ لأن اختصاصها كمرافقة للسياح لم يؤهلها لمعالجة هذا المزيج من الغطرسة والقوة.

كان صوته خفيضاً ومهذباً ولغته الانكليزية ممتازة. وأظهر براعة لغوية لدى معرفته بلغتها الأم. كانت تعرف أنها تجيد اليونانية التي تعلمتها من صوفيا ومع ذلك اكتشف أنها لم تكن لغتها الأصلية. كانت ستفكر فيه كمقاول لو أنها لم تتفحص يديه. ولكن يديه! على الرغم من أنهما نظيفتين مقلمتا الأظافر، تبدو راحتا يديه قاسيتين

ومتشققتين وأظهرتاه كعامل وليس كرجل ثري. ارتجفت عندما لمس ذراعيها الناعمتين. خريستو فاراكسيس رجل غريب ومن الصعب التخلص منه.

«ليس هناك الكثير لأقوله.» هزت كتفيها النحيلتين وقررت أن تسايره لبعض الوقت. على كل حال ليس عندها ما تقوم به الآن. وسيكون لديها ما يكفي من ساعات الوحدة في الأيام المقبلة حتى تتوصل إلى فهم السبب الذي من أجله هجرها فينيب. «كما قلت إني أعمل كمرافقة للسياح لدى شركة سياحية انكليزية كبرى.»

«منذ متى أنت هنا؟» استرخى في مقعده وأولاها كل اهتمامه.

«منذ ثلاثة أشهر، عندما افتتح الفندق.»

«وإلى متى تنوين البقاء هنا؟» رفع حاجبيه الكثيفين متسائلاً.

«لست متأكدة.» هزت كتفيها بضعف. كان مستقبلها واضحاً لها إذا لم يكن أحد ينتظر عودتها في انكلترا. «حتى انتهاء الموسم إلا إذا قرروا استبدالي بواحدة دائمة. وافقت على المجيء إلى هنا مؤقتاً لأنهم كانوا بحاجة ماسة إلى مرافقة تتكلم اليونانية. كنت أشتغل كسكرتيرة في مكتبهم في لندن.»

«امرأة انكليزية تتكلم اليونانية بطلاقة!» بدا صوته مثيراً. «شيء نادر، بالتأكيد!»

«لم تكن هذه اللغة ضمن منهاج مدارسنا.» اعترفت باقتضاب. «ولكن جدتي لأمي كانت يونانية.»

«حقاً!» حدّق إليها من فوق حافة كأسه. «هذا يفسر لون

بشرتك الفريدة. عيناك أرجوانيتان مزرقتان وشعرك ناعم كالزبدة الطازجة وبشرتك ملساء اللون كلبن النعجة المصفى...»

«أنت مزارع إذن أم رئيس طهاة؟» سألته بسرعة لاذعة مع أنها لم تشعر بالاطراء وهو يشبهها بوصفة طعام بدت كفطيرة جبن!

هز رأسه وابتسم لتهكمها. «لا شيء جدير بالذكر. اشتغل حيث يتوافر العمل هذه الأيام.» غير الموضوع فجأة. «هل تستمتعين بإقامتك هنا؟»

«كثيراً.» حدقت إلى يديها وشعرت أنها بحاجة إلى أن تخفي الأسباب التي دفعتها إلى التخلي عن وظيفتها السابقة للتشغل كمرافقة للسياح. «ولدت جدتي صوفيا هنا وأردت دائماً أن أزور الأماكن التي تحدثت عنها بحنين.» حركت يديها بحزن. «توفيت منذ سنة تقريباً، وبإمكانك أن تعتبر أنني في رحلة تكريماً لذكراها.»

عزمت أن تقوم بها منذ وفاة جدتها، ولم تشك أبداً في أنها ستتأثر بهذا الجزء من ارثها، وكيف ستوقظ هذه المناظر الخلابة الألم المبرح الذي سببه موت صوفيا في الوقت الذي فكرت فيه أنها توصلت إلى التغلب عليه.

عبس خريستو: «ألم يكن في وسعك زيارتها عندما كانت على قيد الحياة؟»

«أوه، كلا! أنت لم تفهم، لقد عشت معها في انكلترا وكانت قد تزوجت جدي الذي كان انكليزياً ولذلك تبرأ منها أهلها ولم تعد إلى وطنها أبداً.»

«ماذا عن والديك؟» عبس مرة ثانية.

ترددت للحظة. ماذا انت تفعلين بحق السماء. تسرد قصة حياتها لغريب في مقصف؟ ربما لأنه كان غريباً وليست بحاجة إلى أن تراه مرة ثانية ولذلك وجدت الأمر سهلاً وهي تزوده بالتفاصيل. والآن بعد أن فسخ فيليب خطوبتهما، ولم يعد لديها صديق حميم تستطيع أن تعتمد عليه، كان استجواب رفيقها ضاغطاً وكأنه مهتم فعلاً في معرفة المزيد عنها. على الأرجح أنه لن يُفسح لها المجال مرة ثانية لتعبّر عن نفسها تعبيراً كاملاً في المستقبل القريب. لاحظت بأسف. الشركة التي تعمل فيها لا تشجع الموظفين على أن يوثقوا علاقاتهم بالزبائن. أما بالنسبة لزملائها... وهي في هذا المكان المنعزل فكانت نادراً ما تتصل بهم ولم تحاول كايت المسؤولة عنهم في إراكليون مصادقتها قط.

وما الضرر في أن ترد على أسئلة خريستو؟ عليهما أن يتحدثا عن شيء ما إذا كانت ستستمر في خداع الموظفين على أنها في اجتماع عمل!

«توفيت أمي من جراء مضاعفات تلت اصابتها بنزلة صدرية بعد ولادتها لي بفترة قصيرة.» قالت بحزن: «ذهب أبي إلى الولايات المتحدة، وتركني مع جدتي. تزوج هناك عندما أصبحت في الحادية عشرة، أرسل بطلبي بعد عدة أشهر ولكنني لم أستطع ترك صوفيا التي أصبحت في ذلك الحين بمثابة أم لي...» توقفت تسترجع ذكرياتها مع صوفيا، ولم تتمكن من التحدث عنها برباطة جأش.

جاهدت لتستجمع قوتها، وارتاحت عندما لم يحاول أن يؤاسيها. وانتظرها بصمت حتى استعادت هدوءها. تكلمت بعد عدة لحظات من دون أسى: «أخبرتني صوفيا

الكثير عن طفولتها لدرجة أنني قررت أن أرى الأماكن بنفسي.»

«وهل خاب أملك؟»

«لا. أبداً. لم تعد عائلتها تسكن هنا.» اعترفت. «ولكنني أستطعت على الأقل أن أمضي وقت فراغي، في استكشاف الجزيرة التي وصفتها جدتي بحيوية.» ابتسمت أخيراً، وشعرت أن الوقت قد حان كي تستجوبه بدورها، بما أنها مرتبطة به حتى يكتفي منها. «وماذا عنك... هل تعيش هنا؟»

«مؤقتاً.» كانت إجابته مقتضبة وهو يحول انتباهه إلى مجموعة صغيرة من الموسيقيين الذين بدأوا بترتيب معداتهم على منصة عالية في وسط القاعة. «تسلية، أيضاً.» نظر إليها وتأملها من جديد. «يبدو أن اختياري لتمضية السهرة هنا كان صائباً.»

اللعنة على تشبث هذا الرجل! «هل عائلتك معك هنا؟» سألت بلطف وهي تدرك رفضها لتقييمه الحسي الذي أخضعها له. «زوجتك وأولادك؟»

«تعيش عائلتي على جزيرة كافوس في سيكلادس. ربما سمعت بها؟»

«لا.» هزت آيونا رأسها بانزعاج، لأنه يحترم واجباته الشخصية، ولم يشعر بالخجل من تصرفه الحاضر. ولكن حسب علمها يعتبر اليونانيون أنفسهم غير ملزمين لتبرير تصرفاتهم أمام زوجاتهم. «أيجب أن أعرف؟»

الفصل الثاني

«إلاّ إذا كنت مجتهدة في مادة الجغرافيا.» وبُخها البريق الذي في عيني خريستو بطريقة ساخرة على جهلها. «إنها جزيرة صغيرة.»

تعمد أن يتجاهل استنكارها وتابع بروية. «كانت فيما مضى ملجأ للقراصنة أما الآن فهي بلدة صغيرة، ومرفأ، وفيها العديد من الشطآن الرملية، وعلى وكالات السياحية العالمية أن تكتشفها، بما أنه لا توجد فيها طرق كثيرة ولا مهبط للطائرات، ولكنها تناسب والدي وزوجته كثيراً. أما بالنسبة لزوجتي وأولادي...» تردد برهة وكأنه يدعوها لتشجعه. وعندما لم يلق منها أية ردة فعل تابع: «أعترف بأنني كنت فاشلاً في ذلك المجال، مع أنني كنت مخطوباً عندما كنت في التاسعة من عمري، لابنة أحد أصدقاء والدي في الجزيرة.» هز كتفيه القويتين. «كانت قد ولدت لتوها. حددوا موعد الزواج عندما تبلغ سن الرشد ولم آخذ تلك التدابير على محمل الجد.»

تلألأت عيناه النينيتان بثقة تامة. «لا يمكن أن ينتظر شاب كل ذلك الوقت حتى يحصل على زوجة. وأخشى أنني وجدت العزاء في أماكن أخرى، ولاحظت بعد فوات الأوان أن خطيبتي كانت لديها خططاً أخرى لا تشملني.»

«أوه!» حاولت آيونا أن تقرأ أفكاره. هل شعر مثلها عندما اكتشفت أن فيليب قد وجد شخصاً آخر؟ بالطبع لا؟

ظروفها تختلف. كانت قريبة جداً من فيليب في انكلترا عقلياً وعاطفياً... أم أنها تخيلت ذلك لأنهما خططا لمستقبلهما معاً.

أجبرتها المعاناة على إغماض عينيها للحظة. عندما اخترقت حقيقة خيانة فيليب لها درع ضبط النفس التي نصبتها لنفسها، بعد أن قرأت رسالته تلك الصباح. هل هي راضية عن نفسها؟ هل تسرعت في رهن البيت لحسابهما معاً؟ يبدو أنها كانت تعيش في جنة زائفة، معتقدة أن فيليب سيبقى مخلصاً لها، كما كانت هي له.

الآن عليها أن تدفع ثمن سذاجتها. يريد فيليب أن يشتري حصتها في تلك الملكية التي لطالما اعتبرتها بيت المستقبل. بما أنها دفعت ما توجب عليها من المبرك الصغير الذي تركته جدتها لها، لاحظت بحزن، أنها لن تتمكن من شراء بيت ثانٍ بما تبقى منه. عليها أن تبحث عن بيت تستأجره عندما تعود إلى انكلترا...

«على المرء أن يثق بالشخص قبل أن يسلمه نفسه، ربما؟» قاطع صوته الناعم أفكارها.

«لا. أنت على خطأ!» ناقضته بسرعة. «الحب عطاء قبل كل شيء. لا يمكن أن نسيطر على العواطف ساعة نشاء.» أبعدت نظرها عنه وحدقت إلى يديها عندما صفعتها الحقيقة من خلال كلماتها.

وجدت نفسها تحلل علاقتها بفيليب لأول مرة. هل كانت مبنية على أساس الصداقة، والتوافق الاجتماعي فقط كما ادعى فيليب في رسالته؟

«فلسفتك رائعة، ولكنها ليست كافية لاخفاء ألم الفراق،

وخاصة في حالتك. أليس كذلك؟» تأمل خريستو وجهها وزم شفتيه.

فاجأها سؤاله المهذب لأنها اعتقدت بأنها استطاعت أن تخفي ألمها جيداً. افتراض مخطىء وخاصة أنها في مواجهة شخص حاد الذكاء.

حاولت أن تتظاهر بعدم المبالاة، وهي تحرك كتفيها. «لم أعتد بعد على الفكرة.» قالت باقتضاب، وتمنّت لو أنها لم تناقش علاقتها الغرامية مع هذا الغريب المزعج. «وصلتني رسالة فيليب هذا الصباح. يخبرني فيها أنه وقع في حب امرأة أخرى، وأنه أعاد ترتيب خططه المستقبلية!»

«هذا أفضل من أن يغير رأيه بعد الزواج.» تمتم وهو يرجع كرسيه إلى الوراء ويقف.

«إذاً أنت راحل؟» خففت حركته من حدة توترها، وهمّت بالوقوف حتى تودع رفيقها بتهذيب بما أن محنتها على وشك أن تنتهي.

«ليس بعد.» تألقت عيناه بوميض مهيب بعد أن حطم آمالها. «كنت على وشك أن أطلب منك مشاركتي في الرقص.»

«الرقص!» نظرت إلى ساحة الرقص الشاغرة بذعر. «لا أعتقد بأنها فكرة حسنة!» أدركت لأول مرة، أن أضواء حلبة الرقص العادية أصبحت باهرة ومتلألئة وأبرزت ظلال العازفين على السقف، وكانوا قد بدأوا بعزف الموسيقى الشعبية. «لا أتحمل الأضواء الوميضة... فهي تفقدني توازني.»

لم تكن سوى الحقيقة... كانت تنزعج منها دائماً، حتى

أنه كان يغمى عليها في بعض المناسبات. وماذا سيحصل لها الآن؟ إذا اضطرت لأن تقترب من خريستو حسب ما تتطلبه تلك الموسيقى الهادئة؟

ليس هناك من تفسير منطقي لذلك، ولكنها بدأت تنزعج من وجوده، وكأن أعصابها أصبحت ذات حساسية أمام سحره الخاص. إلا إذا اعتبرت مشروبها قوياً أكثر من اللزوم.

«لن أتمادى، آيونا، أعدك.» أضعفتها نظراته المثيرة وهو يبتسم ويمد يده لها بترقب.

كان وسيماً على نحو مناف للعقل. وعرفت أنها لن تستطيع أن تتحمل باقي الأمسية وهي بين ذراعيه تراقصه بدفء. لن تسمح لهذا اليوناني المتجول أن يستعملها كبديل للهوه بعد أن أنقذته من وضع محرج! عبست قليلاً. لا، هذا ليس صحيحاً. لم تنقذ خريستو بل مانوليس! خريستو رجل حقير ويستحق الإهانة.

تنهدت ولم تفاجأ عندما لم يتقبل رفضها. عرفت منذ اللحظة التي رأته فيها، أنه رجل يحصل على مبتغاه بأي ثمن. وأكدت لنفسها، أنه لن يحاول جرها إلى ساحة الرقص، وهذا ما عليه أن يفعله لأن لا شيء سيجعلها تغير رأيها.

«أفضل ألا أفعل ذلك.» قالت بحزم، وهي تحاول أن تقيم إدعاءه العزوبة. ليس بأول رجل يتنكر لواجباته الزوجية، ليستمتع برفقة بعض النساء!

«كما تريدين.» هز كتفيه العريضتين بلا مبالاة وعندما تنهدت بارتياح، غريب، اعتقدت بأن قساوته خطرة وبأنه سيكون أشد اصراراً معها.

«في هذه الحالة...» بدأت بثقة تامة.

«إذاً.» قاطعها بلطف. وكأنه لم يدرك ردة فعلها. «إذا كنت أرغب في أن أرقص الرقص اليوناني، سأفعل ذلك، من دون شريك.»

تزعزعت رباطة جأشها عندما أحست بجديته وفغرت فاها.

«لكن ليس هنا... ليس الآن... أرجوك!» ترقرقت الدموع في عينيها البنيتين وهي تتوسل إليه.

«ولِمَ لا؟» لم يتأثر باعتراضها. بدت عيناه الصغيرتان كحبتين من الياقوت الأزرق فيما يمسد بأصابعه قميصه الباهت. «لا تقولي إنك غير مدركة لعاداتنا؟»

حاولت جاهدة أن تسيطر على حدة صوتها وهي تخاطبه. «أعرف رجالاً يرقصون لوحدهم أو... معاً... في مقاهٍ عامة أو في نوادٍ ليلية. ولكن ليس في فنادق سياحية ترفض التعامل مع الزبائن اليونانيين، وعلى أنغام أغاني الحب الاسبانية!»

ارتفع صوت الموسيقى، ولوى خريستو فمه بسخرية. «عندما يريد يوناني أن يرقص... فهو يرقص!»

انثنى كتفيه، وبدأ يبتعد عن الطاولة، وعيناه تراقبان تعبير وجهها القاسي. لم يكن يراوغ. كانت تعرف أن خريستو قادر على أن يثير اهتمام كل شخص موجود في ذلك المقصف المزدحم وهذا سيورطها في متاعب يمكن أن تدمر علاقتها الطيبة مع هيئة إدارة الفندق!

لاحظت بخوف أن لا خيار لها سوى أن تذعن لطلبه، إذا كانت تريد أن تحتفظ بعملها.

«حسناً!» ارتجف صوتها الضعيف باحباط. «رقصة واحدة فقط... ثم سترحل!»

كان استسلامها له مؤلماً لأنها ستضطر لأن تفسر للمدير الشكاك السبب الذي دفعها إلى الاستهزاء بقوانين الفندق، بدأت تشعر بدوار ليس بسبب الأضواء الوميضة، بل من تصرف خريستو الجريء.

«عرفت أنك ستوافقين.» قال بنعومة وهو يمسكها بقبضته القاسية، ويقودها إلى وسط الصالة.

بقيت متصلبة بين ذراعيه لفترة حتى جعلتها الموسيقى تحس بالاسترخاء تماماً. كان قريباً منها جداً ولكنها لم تكن مرتاحة، بل خائفة من تأثيره عليها، ويده الباردة تداعب ظهرها. قادها حول الغرفة بخطوات سديدة وانضم إليهما فجأة راقصون آخرون.

وجدت أيونا حضوره أكثر تأثيراً وهي قريبة منه. سرت حواسها بعبير ثيابه الكتانية المكوية ورائحة بشرته النفّاذة وبعطره الخفيف المحير. لاحظت أن ذقنه حلقت حديثاً وافترضت أنه حلقها مرتين في اليوم، ضروري إذا أراد أن يتجنب الظهور بمظهر القرصان.

أمتعتها الفكرة وهي تتخيله بقميص فضفاضة وبنطال ضيق مثبت إلى حزام...

«إذن أنت قادرة على الابتسام، أيونا.» داعب صوته أذنيها. «أعتقدت بأنني ارتكبت غلطة كبيرة، وبأنك تتمنين، حقاً أن تري قفاي.»

«أنت على حق.» كانت إجابتها مقتضبة، تملكها شعور بالازدراء وتعلقت بذراعه. «لكن، ليس في هذه اللحظة.»

أغمضت عينيها عندما وخزتها الأضواء الوميضة. وضعت راحة يدها على جفنيها، وجفلت من الألم الشديد، غافلة عن حاجتها للهرب من مصدر عذابها. «إنني آسفة خريستو، بدأت الأضواء تزعجني. يجب أن أجلس قبل أن أقع على الأرض.»

وضع يده حول خصرها عندما ترنحت قليلاً وبدا قلقاً.

«كنت صادقة معي إذن؟ أنت سريعة التأثر بالأضواء الوميضة؟» لم تستطع أن تجيب لأن الوميض اخترق شبكتي عينيها من خلال جفنيها المغمضتين وسمعته يتذمر. «اعتقدت بأنها تثيرك فقط.»

«لا، أنا...»

أرادت أن تخبره، أن الاغراء ليس جزءاً من طبيعتها، لكنه لم يمنحها الوقت حتى تنطق بتلك الكلمات، وحملها عن الأرض إلى خارج المقصف.

كانت مصابة بدوار ولم تعر أي اهتمام لنظرات الضيوف الفضولية. تعلقت بكتفيه ودفنت وجهها في صدره. شعرت بهواء بارد يلفح وجهها ووجدت نفسها تجلس على كرسي مريح في لحظات.

«هل ينتابك هذا الدوار عادة؟»

فتحت عينيها وشعرت بالألم ينحسر، بعد أن أزيل مصدره، ووجدت نفسها جالسة على أريكة فخمة في نهاية ردهة الفندق، التي تقود إلى أحد مداخل المقصف وخريستو يقف إلى جانبها. يراقبها بتركيز متعمد وهو مقطب الجبين.

«لا.» أجابت بصدق. «طالما تجنبت النوادي الليلية.

والأفلام الصامتة القديمة. أنا بخير! إنها فرقة جديدة ولم ألاحظ قوة الإضاءة إلا بعد فوات الأوان.» ابتسمت، لم تكن ترغب فعلاً في أن تترك المقصف ولكنها أبعدت خريستو عن الساحة الخطيرة على الأقل؛ لم يبق عليها الآن إلا أن تحثه على الرحيل. «إني أشعر بتحسن شكراً.» قالت بحزم: «سأكون بخير بعد قدح ماء بارد ونوم مبكر.»

«عين العقل.» هز رأسه. «سأرافقك إلى غرفتك في حال شعرت بالضعف مرة ثانية.»

«لا داعي لذلك! إنها في آخر الرواق.» قالت من دون تفكير، وندمت بعد ذلك، عندما قدم لها يده.

«إذن، لا مشكلة.»

ترددت للحظة، ولكن غرفتها كانت تقع خلف غرفتي المنافع. صغيرة، ولكنها مناسبة، ولديها حمام خاص على الأقل. فكرت في أخذ حمام بارد، يمحي ذكريات الأمسية المزعجة.

استدارت لتواجهه على عتبة الباب، مصممة على أن تفهمه موقفها.

«سيد فارادكسيس... خريستو... إني آسفة لأن ادارة فندق آل غريكو تدقق كهذا في اختيار زبائنهم، ولكن أرجو أن تفهم أن هذه الأمسية كانت استثنائية.» أخذت نفساً عميقاً، وندمت لأن ثرثرتها جعلته يسيء فهم نواياها. «لن أرحب بك، إذا عدت إلى هنا مرة ثانية.»

«هل أنت أكيدة؟» وثب قلبها من مكانه، وأدركت ابتسامته الساخرة بحزن. «أعتقد أنه من الأفضل أن نناقش هذا الموضوع في مكان خاص، أليس كذلك؟»

«ليس هناك ما نناقشه!» بحثت في حقيبتها عن مفتاح الغرفة. أدارت قفل الباب ودفعته بتوتر. «أنا أكيدة من أنك ستجد مكاناً يناسبك كآل غريكو ويستقبلك بحرارة أشد.»

«انتظري!» لمست يده ذراعها بنعومة لكن بتعمد. «دعيني أقدمك إلى أحد الأصدقاء على الأقل، سيسر جداً بمعرفتك وسيسمح لك ولزبائنك باستعمال مركبه بعد ذلك.» ابتسم بسخرية. «يقيم قريباً في الساحة الرئيسية. الأفضل أن أرسم لك خارطة إذا كان لديك ورقة صغيرة. ليس لديه هاتف ولكنني أؤكد لك أن مركبه كبير ومتين وسيعطيك سعراً مقبولاً إذا ذكرت له اسمي.»

«على كل حال...» ترددت وشعرت بالضياع. لقد راودتها هذه الفكرة مراراً، بسبب الطلبات المتواصلة التي تتسلمها من زبائنها، ولقد اعتمدت على مندوبي الشركة، حتى ينظموا رحلات من هذا النوع مع المدراء المحليين وحاولت جاهدة أن ترضيهم، لكن من دون جدوى. لم تكن المدينة الصغيرة مركزاً سياحياً، ويبدو أن معظم المراكب كانت تستعمل لنقل البضائع، وهي غير مناسبة للقيام بنزهات بحرية.

إلى جانب ذلك كانت المدينة ذات مجتمع مغلق، وكانت مدركة أنها لم تكن سوى زائرة أجنبية بالنسبة لسكان المنطقة، واللوم يقع على سمعة آل غريكو كفندق غير مضياف!

سيساعدها هذا الاتصال على كسب ثقة الجميع، وسيكون بمثابة سلاح في يدها، عندما تطلب منهم أن يمددوا فترة عملها في الفندق.

استغل خريستو صمتها وعبر عتبة الباب. «هل لديك قلم؟» اغلق الباب وراءه عندما ابتعدت عنه بضع خطوات وأخذت دفتراً صغيراً وقلماً من حقيبتها. «من السهل إيجاده.» أسند الدفتر على طاولة الزينة الصغيرة وبدأ يرسم بعض الخطوط. «هنا الساحة الرئيسية، وهنا الطريق الذي يؤدي إلى المصرف، وعلى طول الطريق نزولاً، بهذا الزقاق الصغير، بين دكان البقالة والمقهى. لا أعتقد أن الباب مرقم... لم يكن كذلك عندما زرته في آخر مرة... ولكن الرجل يدعى ستافروس كيرياكوس. كوني صادقة معه واخبريه أن خريستو أرسلك وستنتهي متاعبك عندئذ.» ناولها الدفتر المفتوح برضى تام.

«شكراً لك، أنت لطيف جداً.» أخذت الدفتر منه وهو يضع القلم على الطاولة، وألقت نظرة سريعة على الخارطة.

قضت لمسة يده الخاطفة على شعورها بالامتنان.

«لا يمكنك مقارنة تصرفي بعملك الذي يقضي بمصادقة مسافر وحيد يبحث عن بعض التسلية.»

تخلت عن موقفها الدفاعي للحظة. ولكن أجراس التحذير عادت ترن في رأسها ثانية، وقد نبهتها نبرة جوابه الدافئة.

نظرت إلى وجهه وهي غير واثقة من نفسها. انسدلت خصلة من شعرها الذهبي على خدها عندما هزت رأسها استنكاراً.

«أنت تعرف أن هذا ليس صحيحاً.» قالت بهدوء: «هناك هدف واحد دفعني إلى التدخل هذه الليلة وهو لا يشملك بالطبع. وساكون شاكرة لك إذا...»

لم يتسن لها الوقت، حتى تكمل جملتها وتطلب منه الرحيل، لأنه قاطعها بصوت خفيض، لكن منفعل: «هل من عادتك أن تقدمي نفسك للرجال ثم تبدلين رأيك؟»

صدمتها كلماته، وحرمتها للحظة من قدرتها على النطق، بينما كان واقفاً هناك، يراقب تورد وجنتيها بعينين ساخرتين. حاولت جاهدة أن تبحث عن كلمات ملائمة تستعيد بها كرامتها، وأدركت بحزن أن تصرفها كان متسرعاً وقد أسيء فهمه في جزيرة يتقيد رجالها بطقوس مجتمع بدائي.

رنّت أجراس التحذير في رأسها بعد فوات الأوان. كان خريستو يرتدي ثياباً عصرية، ومن الواضح، أنه رجل مثقف ومتحرر ظاهرياً، ولكنها أخطأت عندما اعتقدت بأنه سيقدّر ويتفهم دوافعها. إذاً، كانت محاولتها التقرب منه غلطة، فقد ضاعفتها عندما سمحت له بعبور عتبة باب غرفتها.

أقرت في سرها أن حذرها المعتاد قد وقع ضحية توترها، الذي أصيبت به من جراء تخلي فيليب غير المتوقع عنها، وزادته الوحدة، ودعمته سرعة الأضواء المغناطيسية. مع شيء من الجهد، أجبرت نفسها على قبول تأمله لها الذي صارت هي خاضعة له، وارتجف صوتها من شدة الخوف، وهي تحاول أن تسترجع ما تبقى من كبريائها. «كيف تجرؤ وتقول إنني عرضت نفسي عليك؟»

«ألم تفعلي ذلك؟» كان سؤاله ناعماً كالحرير، وارتجفت، عندما أحست بقوته الوحشية، وأدركت أن بإمكانه أن يمتلكها إذا أراد ذلك.

«أتنكرين أنك أنت التي اخترتني من بين كل الشبان الذين

في المقصف، وطلبت مني مشاركتك في الجلوس؟ رجل غريب؟ كانت دعوة وقحة!»

«إني أنكر ذلك!» ترقرقت في عينيها دموع الغضب، عندما اجتاحتها نظراته من رأسها حتى أخمص قدميها. «بإمكانك أن تكرري ذلك مئة مرة، ومع ذلك ستفشلين في اقناعي.»

«أوه!» أطلقت تنهيدة عالية وهي تحاول أن تجد طريقة تهرب بها من هذا المأزق. لن يسمعها أحد إذا صرخت نظراً لموقع غرفتها المنعزل، وإلى جانب ذلك، سيحاول أن يسكتها ويده الكبيرة مطبقة على فمها. لكنه لم يحاول لمسها، لغاية الآن، مع أنه غير مسرور من تصرفاتها، ويبدو أنه يجاهد للسيطرة على أعصابه.

«أعتقد أنك غيرت رأيك، بالنسبة لتمضية بقية السهرة معي، أنت إمرأة باردة، أو أنك تحاولين خداع نفسك وخداعي. لو كنت مراهقاً طائشاً هل كنت ستروين لي الأكذوبة نفسها؟»

«لا.» أجفلتها كلماته، ولكن عليها أن تكون صادقة. «لأنك لو كنت مراهقاً فعلاً لاستطاع مانوليس أن يعالج أمرك بسهولة. ولكن أنت...»

توقفت عندما نظر خريستو إليها بترقب. اللعنة على هذا الرجل! هل كانت منجذبة إليه حقاً كما يدعي؟

ولكن الآن، ليس بالوقت المناسب، حتى تستجوب دوافعها الذهنية، ومتهمها يثني ذراعيه على صدره وينتظرها بارتياب.

«نعم؟» قال بنعومة. «وماذا عني يا آيونا؟»

رفعت رأسها بتحدٍ وتمنت لو أنه لا يرى دموعها. «من الواضح أن مانوليس كان سيخسر لو حدثت أي مواجهة بينكما... جسدياً وكلامياً، لأنه ليس بصحة حسنة.» كان الاتهام البادي في عينيها الكبيرتين السلاح الوحيد الذي ستتحدى به إصراره، مع أنها مدركة المخاطرة التي أخذتها على عاتقها، وتوسلت ألا تكون قد أخطأت في الحكم على مبادئه. «لديك مظهر سيد نبيل. اعتقدت أنك ستتصرف كواحد... وترحل بعد أن ترضي غرورك!»

«واكتشفت أنني نذل بدل ذلك.» استعمل كلمة عرفت أنها تقال لتصف شخصاً وحشياً من التراث الأثيني الخاص، ولكنها تصف أي رجل قاسٍ ومتعجرف بشكل عام.

ضحك بعبث متعمد. «أستطيع أن أرضي غروري عند الضرورة فقط. ولا أحتاج إلى تحدي أية إمرأة.» لمست يده ذقنها وداعبت شعرها بنعومة، وهو يبعد بعض الخصل من على جبينها. «في الحقيقة لقد قدمت إلي دعوة، تقدمها النساء إلى الرجال منذ بداية التاريخ... وأنا اخترت أن أقبلها.»

«لا!» حاولت أن تبتعد عنه، لكن ضيق الغرفة جعلها تتوقف قرب سريرها المفرد والمرتب. «كنت على خطأ!»

«أردت أن أقبلها.» حدق إليها وضاقت عيناه واستطاعت أن تشعر بحرارة جسده وبخيبة أمله. «لقد مضى وقت طويل منذ أن أمضيت الليل برفقة امرأة جميلة مثلك.» قال بصوت عالٍ: «والآن بعد أن شجعتني تريدين طردي؟» بدأ يتنمر. «ربما بإمكاننا أن نتفاوض؟» إذا كان قد أدرك نظرة الرعب في عينيها فسيتجاهلها بالتأكيد. «إذا كانت صفقة العمل

مع ستافروس غير كافية عليك أن تحددي سعرك بنفسك. أنا دائماً مستعد لأن أدفع جيداً حتى أحصل على أفضل ما في السوق.»

وخزها شيء حاد في داخلها. كان قريباً جداً منها، وساحراً بشكل مؤلم. بدت كتفاه عريضتين، وأصابتها فكرة الشعور به بالاشمئزاز.

كانت غاضبة من نفسها، لأنها سمحت لتلك الرغبة بتملكها، وبإذابة كرهها له، بعد أن عاملها كامرأة تبيع نفسها لمن يدفع أكثر. رفعت يدها وصفعته على خده الأيسر بعنف.

لم تر البريق الشيطاني في عينيه الداكنتين إلا بعد فوات الأوان ولم يعد في وسعها التراجع عندما أحاطها بذراعيه ومنعها من التحرك.

«نفذت العقاب قبل أن تحدث الجريمة، أليس كذلك؟» تمتم ثم عانقها. تصلبت في مكانها استعداداً للدفاع عن نفسها ضد اعتداء عنيف. ودهشت عندما لثمها بلطف.

لم يعانقها فيليب بتلك العاطفة طوال وجودهما معاً. ولم تتجاوب مع خطيبها بذلك الاحساس المريح قط.

تعرف هي أن علاقتهما كانت تفتقر إلى هذا العنصر. ولكنها كانت تقول لنفسها، إن هذا يعود لاحترام فيليب لمبادئها ولطريقة تربيتها الصارمة. كان يعرف أنها في الثانية والعشرين من عمرها، كانت ما تزال عذراء، ولطالما اعتقدت أنه أراد أن تكون علاقتهما متحفظة إلى أن يتزوجها.

«كلمة تحذيرية واحدة فقط.» أخبرتها حاستها السادسة

أنه يتظاهر بالهدوء على الرغم من لهجته الساخرة. «يستغل جميع الرجال حب والدة واحدة، ولكن الأمر منوط برغبة أمهاتهم في منح ذلك. أنت ماتزالين صغيرة وجميلة، لتلعبي دور والدة مانوليس. لا يقدر الرجل الناضج نوعاً كهذا من الحب... أو حتى يتفهمه من انسانة مثلك.»

ألمتها نظرة الاحتقار التي في عينيه، وبلعت ريقها بصعوبة، وهي تحاول أن تسيطر على ضربات قلبها السريعة.

«لقد أوضحت لي جيداً، نوع الحب الذي تقدره» قالت بحدة.

«أعتقد أنني لقنتك درساً مهماً.» جرحت نبرته كبرياءها، وزادت من توترها. حاولت جاهدة أن ترد اعتبارها، لكن من دون جدوى، لأنه ابتعد عنها وفتح الباب واختفى فجأة، تاركاً إياها تحدق إلى الفراغ.

الفصـل الثالث

استيقظت آيونا في الصباح التالي، بعد ليلة مؤرقة، وتأوهت بصوت عالٍ، وهي تستعيد أحداث الأمسية الماضية في ذهنها. ترنحت في مشيتها، وهي في طريقها إلى الحمام. حدقت إلى وجهها في المرآة بازدراء بعد أن لاحظت الدوائر السوداء التي تحيط بعينيها. كم كانت غبية عندما سمحت لنفسها بالتدخل في أمر لا يعنيها! كانت تريد أن تنقذ مانوليس بأية طريقة، بعدما رأته يعاني من ألم مبرح... ولكن ما كانت النتيجة؟

هزت كتفيها، وهي تتذكر وسامة ذلك اليوناني المتعجرف، الذي أساء فهم تصرفها، بعدما كفلت وجوده في فندق آل غريكو. كان يجب أن تأخذ حذرها، عندما رأت الغرفة الجديدة التي عزفت في المقصف أمس مزودة بالأضواء الوميضة، فكرت بحزن. ولولا الدوار الذي أصابها من جراء ذلك لما سمحت لخريستو بمرافقتها إلى غرفتها، أو بلته على موقعها.

قطبت جبينها. كان بإمكانها أن تطرده ولكنها سمحت له بالدخول. لماذا؟ أطلقت العنان لأفكارها من دون وعي، والعذر الوحيد الذي تراءى لها هو أنها كانت مشتتة التفكير بسبب رسالة فيليب التي جردتها من حذرها المعتاد.

كل ما تأمله الآن، هو ألاّ ترى ذلك اليوناني القاسي مرة

ثانية! لا يمكن لأي رجل حتى ولو كان له العناد، أن يتحدى قوانين آل غريكو الصارمة.

وثرت نوبة من الألم العاطفي عضلات جسدها. كم ستأخذ من الوقت حتى تتوصل إلى تفهم حقيقة فسخ خطوبتها؟ تساءلت. وكم ستأخذ من الوقت، حتى تتخلص من حزنها أو تخففه على الأقل. كانت طفلة وحيدة، لم تعرف والدها أبداً ولم تلاحظ إلاّ الآن كم أنها كانت تعتمد على فيليب، ليكون الرجل الأساسي والوحيد في حياتها. الرجل الأساسي؟ أكذلك كانت بمثابة فاجعة تلك الخسارة أكثر من خسارته كزوج كفوء؟ ولكنها أحبته، أليس كذلك؟

انطبعت هذه الكلمات في ذهنها مرة ثانية بشكل يتعذر محوه. «أتمنى أن تفهمي وتفرحي لأجلي.» استحضرت في ذهنها صورة وجهه الجميل وعينيه البنيتين وشعره البني المتموج ثم ابعدت عن مخيلتها الصورة التي استهزأت بطبيعتها الصادقة.

أخذت حماماً وتبرجت قليلاً، قبل أن ترتدي بدلة عملها المرتبة، وتشق طريقها عبر الطابق الأرضي إلى غرفة الطعام.

هل أحبها فيليب فعلاً؟ تساءلت وهي تجلس إلى طاولتها المنعزلة والمثبتة بعيداً في زاوية الغرفة الكبيرة قرب المدخل الرئيسي. لو أنه أحبها، لكان اعترض على قبولها العمل في كريت. فاتحته بالموضوع بحذر، مع أنها كانت متحمسة للفكرة، ولزيارة الأماكن التي تحدث عنها صوفيا، وكانت مستعدة لنسيانها، لو أنه أبدى أي اعتراض.

لم يعترض، بل أكد لها أن باستطاعته أن يتدبر أموره من

دونها، لمدة ستة أشهر. رشفت قهوتها بسرعة. كم كانت غبية عندما اعتقدت أنه أحبها بعمق وأدرك أهمية قرارها وأنه مستعد لمسايرتها والتضحية من أجلها. الآن عرفت الحقيقة: ليس بإمكانه أن يتدبر أموره من دونها لستة أشهر فحسب... بل لبقية حياته!

لقد أخبرها أن غيابها سيعطيه الفرصة حتى يزين ويصلح بيتهما الجديد استعداداً لزواجهما المقرر عشية ليلة الميلاد كما خططا. ولكنه استغل فرصة غيابها حتى يقع في حب امرأة أخرى!

حدقت إلى يدها اليسرى، وفرحت لأنها قبلت اقتراحه، في عدم تبذير أموالها على شراء خاتم خطوبة، على الأقل، ليس عليها أن تختبر مرارة تلك الشكليات، وهي تعيد رمز تعهدهما إليه. لم يكن من الممكن الاحتفاظ به، مع أن التقاليد تمنحها هذا الحق.

توجهت إلى قاعة الاستقبال الكبيرة عبر رواق داخلي فاصل بعد أن احتست قهوتها. شعرت أن الصباح قد مرّ بسرعة على الرغم من تراكم الأعمال المكتبية عليها والمناقشات المتتابعة مع زبائن الوكالة.

جمعت أوراقها، عندما دقت الساعة الثانية عشرة وكانت على وشك أن تضعها في حقيبتها، عندما رن الهاتف في مكتبها الصغير.

«آيونا؟» بدا صوت المسؤولة عن الادلاء السياحيين في إراكليون متصلباً.

«نعم، كايت؟» تسارعت نبضات قلبها. لا يمكن أن يكون هناك متاعب. بالطبع؟»

«لقد وقعت في الفخ هذه المرة!» وبرر تأنيب كايت الصارم مخاوفها. ولم يفدها استرجاع أحداث الأسبوع الفائت في شيء.

«هل هناك من مشكلة؟» سألت بلطف وهي تحاول أن تخفي قلقها.

«إلا إذا كنت تعتبرين استضافة اليونانيين في غرفتك خطأ جسيماً! ماذا كنت تحاولين أن تفعلي؟ أن تحولي الفندق إلى مكان للدعارة؟»

«أوه، كلا!» صرخت آيونا وهي تشعر بالغثيان، عندما عرفت أن أحد الموظفين قد لاحظ تصرفها ليلة البارحة، وأساء فهمها. شدت أصابعها حول سماعة الهاتف. «كايت، أرجوك اسمعيني جيداً، كان يونانياً واحداً ولم استضفه في غرفتي. لقد رافقني إلى هناك عندما أغمي علي في الصالة.

«يا لسوء الحظ! واحد أو مئة، لا فرق. أنت مدركة تماماً لموقفنا هنا، لقد اتصل المدير بنا هذا الصباح وهو يطلب استبدالك فوراً. يريدك أن ترحلي من آل غريكو اليوم وإلا لن يجدد عقد عملنا.»

شعرت وكأنها أصيبت بضربة شمس، وبدأت تلهث من وقع الصدمة. «هل تعنين أنكم لن تعطوني أية فرصة حتى أوضح...»

«أي تفسير؟» سألت بسخرية. «لقد اعترفت لتوك أنك أخذت أحد المواطنين إلى غرفتك، بصرف النظر عن وجود شاهد عيان. لقد اتصلت بلندن، وسأحل مكانك بنفسي مؤقتاً. أما بالنسبة لعملك، ستدفع لك الشركة حتى نهاية الأسبوع، وتسمح لك بالعودة إلى انكلترا الليلة. لقد خرقت القانون،

وعرضت سمعة آل غريكو للخطر. لقد انتهى عملك في الوكالة اليونانية للرحلات. هل هذا واضح؟»

«نعم، واضح جداً.» لقد تطلب منها بعض الجهد، ولكنها استطاعت أن تسيطر على ارتجاف صوتها، وصممت ألا تظهر شعورها لزميلتها السابقة، والعديمة الشفقة. كانت الأحداث تجري بسرعة وحاولت أن تستجمع أفكارها.

«هذا أفضل.» قالت كايت بسرعة. «بإمكانك أن تستأجري سيارة لتقلك إلى المطار، وتأخذي تذكرة السفر من مكتب الحجز. وكما تعرفين، تقلع الطائرة في الساعة السادسة.»

جلست آيونا على الكرسي غير مصدقة، بعد أن أغلقت كايت الخط في وجهها.

كان بإمكانها أن تبدي بعض الاعتراض. ولكن لأي هدف؟ كانت ضحية سلسلة من الأحداث المتراكمة، التي لا مفر منها. هذا هو قدرها، مصيرها وحظها.

فكرت للحظة، بأن تتصل بلندن، وتفسر لهم ظروفها، ولكنها لاحظت أنها ستهدر مالها عبثاً. لدى الوكالة اليونانية للرحلات ما يكفي من المتاعب: وكالة سفر صغيرة تعرض خدماتها في سوق ضعيفة بسبب المضاربات المتزايدة، وتعاني من الركود في العطلات الصيفية. كان آل غريكو الأهم بالنسبة لها، منذ أن نقلت مكاتبها الرئيسية إلى بريطانيا العظمى، كانت على علم، مثلما هي تعلم، بقوانين الإدارة القاسية. حتى ولاءها لموظفيها سيتزعزع، إذا تعارض مع مبادئها الصارمة.

ماذا عليها أن تفعل الآن؟ توجهت إلى غرفتها، وبدأت تحزم حقائبها. ماذا ستفعل إذا عادت إلى انكلترا؟ ليس إلى

البيت الذي كانت ستعيش فيه كزوجة فيليب! ارتجفت على الرغم من دفء النهار، وهي تتخيل وجهي فيليب وحبيبته، إذا دقت على بابهما، كيف باستطاعتها أن تفكر فيه، بيتاً، بعد كل ما حدث.

فندق! لا، سيكون غالياً. لم تكن المرافقات يتقاضين معاشاً مغرياً، ولم يتسن لها الوقت الكافي حتى تقوم بتنظيم رحلات فردية، تساعدها على جني بعض الأرباح شرعياً! ضحكت بمرارة. كانت ليلة البارحة أول مغامرة لها في هذا المجال... كم كانت غبية! لا بد أن خريستو فارادكسيس يهزأ من سذاجتها!

إذن، غرفة في مكان ما. هذا هو الحل الأنسب، حتى يتمكن فيليب من جمع بعض المال، ليشتري كامل حصتها. ماذا لو كانت حبيبته موظفة؟ عندئذ بإمكانها أن تستلم حقها في أقرب وقت، ولكن الاحتمال ضعيف.

قررت أن تمضي الساعات القليلة المتبقية، في المشي بمحاذاة الشاطىء الهادىء، المواجه للفندق، بعد أن انتهت من حزم حقائبها. ماذا لو بقيت في كريت؟ هذا خيار معقول، لكن عليها أن تجد عملاً تعيل به نفسها. ومع أنها مستعدة لقبول أي شيء، لكن الوظائف المتاحة للأجانب محدودة، أما الأعمال المتوافرة في الحانات والفنادق فهي تعج بفتيات أوروبا الشمالية اللواتي أتين للاستمتاع بالطقس الدافىء.

عليها أن تجد مكاناً آخر تقيم فيه، كي تبحث عن عمل. معظم الغرف قد أجرت للسياح.

توقفت واستدارت، لتواجه أمواج البحر العالية والزرقاء،

تحت السماء الصافية. هذه هي الأرض التي أحبتها جدتها فوق كل شيء، مع أنها لم تعد إليها، بعد أن تحدّت إرادة والدها اليوناني المستبد لتتزوج رجلاً انكليزياً. يا إلهي! كم تفتقد حب صوفيا، دعمها، تفهمها وتعاطفها! كانت ستتفهم السبب الذي دفعها إلى التورط مع ذلك اليوناني، وتجد لها حلاً مناسباً، على الرغم من مبادئها الصارمة!

«يا إلهي.» همست والحزن يتملك قلبها. «ماذا علي أن أفعل؟»

«يجب أن تضبطي لسانك، وتشجعيه على قول الحقيقة!» عرفت مصدر الصوت الذي أتى من وراءها، ولم ترحب به.

«أنتا» قالت بتوتر، واستدارت قليلاً لتواجه معذبها. وكان خريستو فارانكسيس لم يدمر حياتها بعد. كان آخر شخص تود أن تراه في تلك اللحظة، هو الرجل الذي حطم حياتها. تصلبت عضلات فكها من حدة غضبها. بدا أنيقاً، ببنطاله الأزرق وقميصه البحري المقلّم. كوّنت رأيها بتجرد تام، وهي مقتنعة أن قلبها كان يطرق بسرعة هائلة، ليس بسبب مظهره، بل بسبب جاذبيته، وذكّرها باللحظات القليلة، التي أمضتها في عناقه.

رفع حاجبيه الداكنين فوق عينيه الزرقاوين. «أجل، هذا فعلاً أنا. برغم أني لست القديسة بيلا ولكني واثق أنها ستأخذ بنصيحتي يا صغيرتي الكاذبة الجميلة.»

«كاذبة! كيف تتجرأ وتتهمني بالكاذبة؟» أرادت أن تلكمه، ولكنه تفادى ذلك بسرعة.

«لا يليق بك الغضب يا صاحبة الكتفين الجميلتين.» تفحصت عيناه الإيجابيتان كتفيها. «لقد قلت لي البارحة

إنك تنوين البقاء في كريت حتى انتهاء الموسم. ومع ذلك عرفت أنك راحلة الليلة، عندما سألت عنك في الفندق منذ لحظات قليلة. ما الذي غيّر رأيك؟ هل تخلى حبيبك عن لعبته الجديدة، وتوسل إليك، حتى تعودي إلى عش غرامه؟»

«عش غرامه؟» لذعتها سخريته. «إذا كنت تعني البيت الذي كنا ندفع ثمنه سوية، لقد فصلني عنه أيضاً، ولم يترك لي أي مجال حتى أشتري بيتاً مشابهاً حتى لو أعاد لي مالي الذي أنفقته كله عليه!»

«ولماذا غيرت رأيك ما دمت قد أخبرتني بالحقيقة أمس؟»

«لأنه كان لدي عمل البارحة!» أجابت بقوة، وتمنت لو أنها التزمت الصمت، حتى تحافظ على كرامتها.

«واليوم؟» تأملها ملياً من خلال عينيه المزينتين برموش كثيفة سوداء. «هل تقولين أن لا عمل لديك بعد اليوم؟ لماذا؟»

رمقته بنظرة احتقار. «بسببك وبسبب تصرفك الحقير. هل فهمت؟»

«أو ضعي الأمر!» تقلصت عضلات جنكه بعدائية.

فكرت أن تتحداه. ولكن ليس هناك ما يمكن إصلاحه. لقد أوقعت نفسها في تلك الورطة، وعليها أن تتحمل نتائجها كاملة.

«آيونا؟» وضع يديه على كتفيها، ثم أمسك ذقنها بواحدة، عندما حاولت أن تتجنب النظر إليه. «إني أنتظر تفسيراً.»

إذن يجب أن يحصل على واحد. اللعنة عليه! رفعت رأسها

بتحدٍ، لتواجهه بجرأة، وقررت ألا تدعه يروّعها بشخصيته الفذة.

«لقد رآك أحد الموظفين وأنت تدخل إلى غرفتي البارحة. ولقد افترضوا أن فندقهم يتحول إلى دار ذات سمعة سيئة ولذلك طلبوا مني الرحيل فوراً. لقد صرفت من الخدمة وسأعود إلى بلدي، وأنا موصومة بالعار. هل أنت راضٍ؟»

«كلا!» فاجأتها ردة فعله القوية. «لن أسمح بذلك.»

اعتقدت أنه لن يبالي بمحنتها بل سيعتبره كعقاب نتيجة تدخلها، وسوء التفاهم الذي حصل بينهما. أخذت نفساً عميقاً، وملأت رئتيها بالهواء الدافىء النقي، عندما هب النسيم، وهز شجرة صغيرة على ممشى الشاطىء بكسل.

«لقد أثار اهتمامك فضولي.» قالت أخيراً، وهي تلاحظ تعبير وجهه الساخر: «ولكنني لم أدرك، أنك تمتلك بعض القدرات الأولمبية.»

«أنت لا تعرفين إلا القليل عني.» بدا جسدها يرتعش تحت نظرته النافذة. «بما أنك تعتبرينني مسؤولاً عما حدث، سأعمل جاهداً حتى أؤمن لك عملاً آخر في اليونان. عملاً يناسبك تماماً وبمعاش مغرٍ. هل أنت راضية؟»

«نعم.» أحست بالأمل يدب فيها من جديد. أي شيء أفضل من الرجوع إلى الوحدة التي تنتظرها في انكلترا. «لكن من المستحيل أن أجد أي شيء في الوقت المتبقي لي.»

بقي خريستو صامتاً لعدة دقائق، ثم أضاف بلطف: «بخلاف ذلك تماماً، لدي حل عملي ومثالي. على أن أرجع إلى كانوس في غضون ساعات قليلة. ستسافرين معي

وستشتغلين كمضيفة في الفندق الجديد الذي افتتح هناك حديثاً.»

«هذا مستحيل!» حدقت إليه، وقضى اقتراحه على أملها الوحيد.

هز كتفيه استهجاناً. «لماذا؟ ستتعلمين ما تجهلينه. كما قلت لك، كانوس مدينة صغيرة، ولا يقصدها الكثير من الأجانب ومعظم سكانها لا يجيدون الإنكليزية. ثم بحاجة إلى مترجمة.»

«لم أقصد ذلك...» لم تكن تشك في قدراتها على التعلم، بل في قدرته على تأمين ذلك المركز لها. اجتاحتها موجة من الحماس برغم شكوكها. إذا كان العمل متوافراً فعلاً، سيساعدها ذلك في التغلب على متاعبها، حتى تتمكن من تنظيم أمورها بنفسها. وسيمنحها المزيد من الوقت في اليونان، وسينقذها من العار قبل أن تعود إلى انكلترا...

«أنت لا تثقين بي؟» كان خريستو يعبس، واستطاع أن يقرأ أفكارها.

هزت كتفيها. ولم تستطع أن تنكر ذلك، وتمنت لو أنه يثبت حسن نيته. «وهل هناك داعٍ؟ كيف عرفت بتلك الوظيفة... أو أنها تناسبني؟»

أرجع رأسه إلى الوراء وضحك. تلألأت عيناه ببريق غريب. «لأن المديرة صديقتي، ولقد أخبرتني أنها بحاجة ماسة إلى مضيفة تجيد اللغة الإنكليزية، ولم تجد الشخص المناسب لهذه الوظيفة في كانوس بعد. أنا متأكد أنك سترتاحين هناك، وفي ظروفك الحاضرة ستجدينها مكاناً آمناً ولو مؤقتاً.»

ماذا عساها أن تقول؟ يبدو العرض مغرياً وملائماً وستندم كثيراً إذا تركت تلك الفرصة تفلت من يدها.

يبدو أن ترددها بادٍ على وجهها لأن خريستو أطلق ضحكة ثانية. «تشعرين بالخوف والخجل. هل تعتقدين أنني سأخطفك إلى جزيرة منعزلة، استغلك على شاطىء مهجور، حيث ستكتم تمتمات الأمواج، وتنهدات النسيم، تأوهاتك؟»

دهشت، ولم تحس بتورد وجنتيها. كانت مستغرقة في تفكير عميق، ولم تستوعب كلامه جيداً. تبددت مخاوفها عندما رأته يبتسم.

«بالطبع، لا!» أنكرت الحقيقة بتعجرف. «ولكن...»

«تفضلين ألا تقبلي بكلامي وحده؟» لم ينتظر إجابتها ولم يبد منزعجاً من شكوكها. «حسناً، لا مشكلة. تعالي!»

ترددت للحظة. وما الضير في أن تكتشف الطريقة التي كان ينوي أن يبرهن بها عن حسن نيته؟ تبعته إلى طريق الشاطىء الضيق وقبلت دعوته لتناول عصير البرتقال الطازج في حانة عامة. فهو مدين لها بذلك على الأقل.

تساءلت إذا كانت غبية عندما اعتقدت للحظة أن خريستو ندم على تصرفه وأراد أن يعوض عليها. وهي تراقبه يقتحم القسم الداخلي من الحانة... مع أن مركزه لا يسمح له بذلك. هل تريد حقاً أن تقيم مع ذلك اليوناني المتعجرف الذي سيلعب دور محسن لها على الجزيرة نفسها حتى لو استطاعت أن تكسب معيشتها في كافوس؟

ظهر أمامها فجأة ودعاها إلى مرافقته، قبل أن تتمكن من اتخاذ القرار المناسب.

«المديرة بنفسها على الخط.» قال لها، وهو يناولها سماعة الهاتف، عندما وقفت إلى جانبه. «كلميها، وتأكدي من حقيقة الأمر.»

رفعت آيرنا السماعة إلى أذنها بكسل، وقلبها يطرق بسرعة جنونية، فالكثير يعتمد على اللحظات المقبلة القليلة.

استطاعت أن تسمع صوت ضحك بعض الأولاد المريح. عندما أكدت لها المرأة أنها بحاجة ماسة لتوظيف مضيفة كفوءة، سيكون العمل خفيفاً وفي النهار فقط. وستحصل على تذكرة مجانية، إلى جانب الطعام وراتب مناسب. بدا كل شيء سهلاً. وهي تنتقل من مرحلة اليأس إلى الأمل، بفترة قصيرة جداً وغير معقولة!

«إذن، ستصلين مع خريستو غداً؟» سألها الصوت الناعم الرفيع، الذي على الطرف الثاني من الخط. «لقد أخبرني أنك الشخص المناسب لهذه الوظيفة، أنا بحاجة إلى مساعدتك.»

مررت لسانها فوق شفتيها الجافتين، وأخذت نفساً عميقاً، مدركة حماس خريستو الواقف إلى جانبها، والذي كان يستمع إلى كل كلمة. قاومت مخاوفها وهي تواجه الكارثة من جهة، والمغامرة من جهة أخرى. أخبرتها صوفيا أنها إذا أرادت أن تحصل على شيء عليها أن تحارب من أجله، وهي تريد أن تبقى في اليونان حتى انتهاء فصل الصيف...

«نعم.» قالت بحزم وسمعت المرأة تطلق تنهيدة ارتياح. «سآخذ الوظيفة.» وضعت السماعة في مكانها، واستدارت نحو رفيقها. «في أي وقت ستقلع السفينة من إراكليون؟»

«سفينة؟» رفع حاجبيه. «أية سفينة؟»

اضطربت وعبست. «السفينة التي ستقلنا من إراكليون إلى كافوس، بالطبع.»

«لا يوجد أية سفينة.» بدت الابتسامة التي على وجهه الساخر مهددة على نحو غريب. «كافوس مدينة صغيرة ولا يمكننا الذهاب إليها مباشرة من كريت. وبما أن لدي بعض الأعمال الطارئة هناك، استأجرت مركباً صغيراً سيأخذنا من المرفأ بعد ساعتين. أشار إلى حيث كانت جدران المرفأ الصغير الرمادية، مرئية. «لا تقلقي، يوجد متسع لكلانا.»

«ولكني لا أستطيع...» توقفت وهي تعض شفتيها، وشعرت بالغضب، لأنها تصرفت من دون أن تكشف كل الحقائق. كانت خبيرة بجغرافية تلك الجزر ولاحظت أنها ستمضي ليلة في البحر. لن يكون هناك أية مشكلة لو كانت ستسافر على ظهر سفينة ولكن في مركب صغير؟ خريستو وهي وطاقم صغير فقط؟ احمني يا إلهي! لا بد أن الصدمة الأخيرة قد شوشت تفكيرها!

«بالطبع تستطيعين يا آيونا.» قال برقة. قرأ أفكارها بسهولة، وكأنها مكتوبة على جبينها. «سيبرهن صديقي القديم أريستيد وابنه الصغير عن كفاءة تامة وسيعتنيان بك جيداً. صدقيني ستكونين في أمان.»

كان تعبيره رقيقاً وصادقاً، وهي تحدق إليه بارتياب وتحاول أن تفهم مغزى إجابته المهذبة.

«حسناً.» هزت رأسها بعنف. عليها أن تثق به. كان المفضل لديها من بين كل الخيارات التي في حوزتها. أساء فهم دوافعها البارحة، ولقد أوضحت له مشاعرها، منذ ذلك

الحين. ألم تفعل ذلك؟ هذه كانت طريقته في التعويض عليها، بعد كل المتاعب التي سببها لها. تعويض تستحقه بالتأكيد!

إلى جانب ذلك، لم تثق به لمجرد أنه قال لها إن هناك عملاً ينتظرها. بدا صوت مديرة الفندق في كافوس دافئاً، ساحراً وودوداً، وثم هناك صوت الأطفال، الأمر الذي ضاعف من اطمئنانها. «علي أن أبلغ مديري السابق بقراري وأطلب منه أن يرسل لي المال المدين لي به.» قررت أن تأخذ جميع احتياطاتها، قبل أن تعهد بنفسها إلى خريستو وطاقمه. «في المناسبة، خريستو، ما هو اسم الفندق الذي ساعمل فيه في كافوس؟»

هل كانت تتخيل أم أن طيفاً ما تجاوزها؟ توترت أعصابها، وفكرت أنه لن يرد على سؤالها المعقول، حتى ابتسم وقال بكسل: «بلفادير. بلفادير فقط وستكون كافوس عنواناً كافياً كي يجدوك.»

وقفت آيونا بجانب الحاجز على سطح المركب، تراقب جزيرة كريت وهي ترتد إلى الوراء، عندما هدر المحرك، وانطلق نحو البحر الفسيح. نظرة واحدة إلى أريستيد، رجل في أوائل الستينات من عمره وابنه المراهق، وتبددت مخاوفها. ربما لأن الرجل الطاعن في السن أقل خطراً من الشاب، فكرت وعلى الأرجح، لأن وجه أريستيد صادق ومحب، وتعبر بنيته وملامحه عن حياة نظيفة وعمل شاق وكان تيمون شاباً، متحمساً وبريئاً.

رحبا بها باحترام تام، وقدمها خريستو إليهما كصديقة.

تصرفت معهما بتحفظ، مع أنها استعدت لأن تعهد بنفسها إليهما للساعات المقبلة، حتى تتمكن من التخلص من حضور خريستو الطاغي.

«مؤثر أليس كذلك؟» بدا صوته ضعيفاً.

شعرت بعدم الارتياح. «نعم، هذا المكان جميل. هل كافوس موطنك الأصلي؟»

لقد ولدت وترعرعت هناك حتى الثانية عشرة من عمري. أبي وكاليوبي يقيمان هناك باستمرار.»

عبست آيونا. «كاليوبي؟ خطيبتك السابقة؟»

هز رأسه. «زوجة أبي. توفيت والدتي عندما كنت في الثالثة من عمري. عبّرت عيناه عن فراغ مؤلم، عندما استدار ونظر إلى وجهها الحزين. «لا يوجد مستشفى في كافوس ولقد أخذها والدي إلى أقرب جزيرة عندما أصيبت بالتهاب معوي ولكن بعد فوات الأوان.»

ثلاث سنوات! تقلص حلق آيونا تعاطفاً معه. لقد عرفت ذلك الشعور، لأنها ترعرعت أيضاً من دون حنان الأم. كانت صوفيا أفضل جدة في العالم، ولكنها ستتساءل دائماً عن مصير والدتها المحزن. سحبت أصابعها بسرعة، وقررت أن الكلام سيكون أفضل تعبير عن حزنها.

«كم هذا فظيع.» تمتمت وخجلت من كلامها. تفحصتها عيناه.

«كانت انكليزية، جميلة، سمراء ومرحة. هكذا أخبروني. كانت تلميذة في معهد التمثيل عندما تعرفت إلى والدي ووقعت في حبه. تزوجا في غضون عشرة أيام.»

«انكليزية!» دهشت. «أنت نصف انكليزي؟» لم تفكر فيه

إلا كيوناني في العقيدة والثقافة ولكن كل شيء كان واضحاً... طوله، لون عينيه...

«لست متخصصاً بالرياضيات، ولكن ما تقولينه صحيح.» كان يسخر منها ومن شكوكها. «والآن اعذريني، علي أن أقوم ببعض الأعمال مع أريستيد.»

اقترض مرافقتها، وتحرك لينزل السلالم، تاركاً إياها وحيدة، ورأسها مرتد إلى الوراء، والنسيم يتلاعب بشعرها، والشمس تلفح بشرتها الناعمة.

الفصل الرابع

«مرحباً، أنت تحلمين؟» ظهر تيمون فجأة ووقف بجانبها وهو يبتسم ويقيّم تأملها.

«أفكر فقط.» قالت له وهي تبتسم.

«نعم، المأتم.» هز رأسه. «ولذلك أنت ذاهبة إلى كافوس؟»

لم تفهم ملاحظته جيداً. «مأتم؟ أي مأتم يا تيمون؟»

«مأتم فلاموس جاكفوس.» بدا مندهشاً. «عراب السيد فارانكسيس. ولذلك قرر أن يعود بعد تلك الغيبة الطويلة. اعتقدت أنك تعرفين.»

«لا، لم أعرف.» تساءلت إذا كان حزن خريستو قد دعم عدائيته الليلة السابقة. يلعب العراب دوراً مهماً في حياة الطفل في اليونان، عرفت ذلك. ولكن كان تيمون يحدق إليها بعينين معبرتين، وكأنه يرتاب في حقيقة وجودها على المركب وشعرت أنها ملزمة بتبرير ذلك.

«سأعمل في أحد فنادق الجزيرة، وبما أن السيد فارانكسيس عائد إلى هناك، عرض عليّ مرافقته.» ابتسمت له. «الأمر بسيط للغاية.»

«فندق؟» نظر تيمون إليها وكأنها شخص مجنون. «لا يوجد أي فنادق في كافوس.»

«بالطبع، يوجد!» ناقضته باعتقاد مفترض، ولكنها كانت تشعر بتقلص عضلات معدتها. «بلفادير!»

«بلفادير؟» ابتسم تيمون ابتسامة عريضة. «كلا، أنت مخطئة. بلفادير ليس بفندق! إنه بيت يمتلكه كيريوس... والد خريستو!»

تجمدت في مكانها وهي تحدق إليه، وشعرت بالدم يتدفق إلى وجهها. لقد خدعها بتعمد ولكن لأي هدف؟ «بيت؟» همست. «لا بد أن هناك تفسيراً ثانياً!»

«بالطبع.» انضم خريستو إليهما. لم تسمع خطواته على سطح المركب. بدا صوته عميقاً ومرتاحاً وهو يضع يده على كتف تيمون. «والدك ينتظرك في حجرة الدفة.»

«أود أن أسمعه.» واجهت خاطفها بوجه شاحب من أثر الصدمة، وانتظرت تيمون بفارغ الصبر حتى يختفي.

وقف في مواجهتها، وجسده الطويل والنحيل مسترخ تماماً. «كنت بحاجة ماسة إلى عمل، وأنا استطعت أن أؤمنه.»

«ولكن ليس في فندق!» قالت وقلبها يخفق بسرعة مؤلمة، على الرغم من تظاهرها بالشجاعة.

«لا.» أجاب بجرأة. «في بيت والدي.» ثبّت عينيه على وجهها بلطف، وتأملها ملياً وهو ينتظر ردها.

رجل خطير لا يمكن قهره. وإلى أين ستهرب؟ فكرت آيونا.

«لماذا كذبت عليّ؟» سألت بتوتر.

تلألأت عيناه بوميض ساخر. «لأنك كنت سترفضين دعوتي، لو أنني أخبرتك الحقيقة. ومن مصلحتنا نحن الإثنان أن ترافقيني إلى كافوس.»

«ماذا...» رفعت ذقنها بتحد بعد أن ثبّت شكوكها. «حب

الغير... إذن؟ أخبرني يا خريستو ما نوع العمل الذي تعرضه علي؟ هل تحتاج زوجة والدك إلى خادمة؟»

كانت نظرته باردة ورصينة. جعلتها ترتجف وهي تعيد إلى ذهنها المشهد الحميم الذي دار بينهما في غرفتها، الليلة السابقة.

«ليس على حد علمي.» بدا صوته ضعيفاً وكأنه يعارض فكرتها. «ربما يجب أن تفهمي أن قدمي لم تطأ أرض كافوس منذ ست سنوات... وربما أكثر. ولولا وفاة عرابي لكنت امتنعت عن زيارتها إلى الأبد.» توقف مرة ثانية ورأت الألم ظاهراً على وجهه قبل أن يحجب تطرف رموشه السوداء الحزن الذي في عينيه. هزت رأسها مشجعة عندما توقف للحظة. وحاولت أن تسيطر على غضبها بعد أن أدركت أحاسيسه الدفينة.

«في الحقيقة لا يوجد أي مودة بيننا، والدي وأنا.» قال بنفور: «لقد أغلقت أبواب بلفادير في وجهي منذ أكثر من خمس سنوات. ولكنه ليس قاسياً لدرجة أن يمنعني من حضور مأتم صديقه وعرابي.» توقف. جمدتها نظرته الحادة، قبل أن يضيف برقة: «وخاصة أن المرأة التي قبلت عرضي للزواج منها ترافقني.»

«ماذا؟» تراجعت إلى الوراء، عندما انطبعت هذه الكلمات في ذهنها. أطبقت أصابع خريستو على كتفيها، أفقدها قربه منها توازنها ووجدت صعوبة في التنفس، واجتاحتها عواطف قوية.

«اجمدي!» تقلصت عضلات وجهه الأسمر، وهو يأمرها بالاستماع إليه. «لقد ولدت في بلفادير، ومن المفروض أن

يكون ملكي، وملك أولادي. وما تزال أمنية والدي، كما كانت أمنية والدته من قبله، أن يكون هناك دوماً فارانكسيس، في بلفادير.»

«إني لا أفهم...»

«حقاً؟ سأشرح لك. لقد أنجبت كاليوبي ولداً آخر، أخي ميكوس وهو أب لطفلتين، زوجته فردريكا وللأسف الشديد لن تستطيع الانجاب مرة ثالثة. إذاً مفتاح دخولي لبلفادير، كعضو مرحب به في العائلة، هو التخلي عن عزوبيتي، واصلاح نفسي. وهل هناك برهان أفضل من أن أحضر عروستي معي؟»

«لا!» جمد الخوف لسانها بعد أن نطق بتلك الكلمة. لا تريد أن تلعب أي دور في نزاعه العائلي. ستعود إلى كريت حالما تصل إلى الجزيرة. لديها ما يكفي من المال، وبعد ذلك؟ أغمضت عينيها، وهي تتخيل المستقبل المعتم الذي ينتظرها.

«ستتظاهرين لبضعة أسابيع فقط.» تحركت يدا خريستو القويتين على كتفيها بتشنج، وشدها إليه بقوة على الرغم من محاولتها المقاومة. «عطلة تحت الشمس وسأعوض عليك كل متاعبك كما اتفق، ريثما أجد لك عملاً مناسباً في جزيرة أخرى. هل أنت راضية؟»

«كما اتفق!» واجهته بتوتر. «لقد خدعتني بسهولة باتصالك الهاتفي بالمديرة المزعومة. ألم تفعل ذلك؟ وخاصة أن المرأة كانت مستعدة لأن تكذب بالنيابة عنك. لماذا لا تطلب منها أن تلعب دور عروستك؟»

«لأنها غير مناسبة لهذا الدور.» قال بفتور. «بينما أنت يا

آيونا... ستقدرين على تليين قلب والدي بوجهك البريء وابتسامتك الساحرة.»

«وكيف ستفسر لهم رحيلي، عندما يحين الوقت لاستلام وظيفتي؟» سألت بحدة وهي تحاول أن تقاوم إغراءته.

هز كتفيه ملغياً الفكرة لعدم أهميتها. «لدينا ما يكفي من الوقت، حتى نفكر في ذلك، في الأيام المقبلة.»

«وبعد ذلك؟» رفعت حاجبيها باندهاش من عدم اهتمامه. «ماذا لو وجدت الباب مغلقاً مرة ثانية؟» عرفت أن عليها أن تتخلص من عناقه ولكن قوة عينيه منعتها.

«إذا لم أتمكن من كسب احترام والدي علي أن أرضخ للأمر الواقع، وهو أنه لن يكون لي مكان في بلفادير مرة ثانية.» قيد الألم صوته، وترنحت أفكار آيونا بجنون. لقد خدعها، ولكن كيف بإمكانها أن تتغاضى عن حزن كهذا؟

«آيونا؟» تمتم وهو يرفع يده ليبعد بعض خصلات شعرها الذهبية عن جبينها. «ولن تكون أول مرة تكذبين فيها، حتى تجنبيني الإهانة.» أحدثت لمسة أطراف أصابعه على بشرتها الناعمة خفقاناً عنيفاً في مكان ما في داخلها، ورفعت يدها حتى تهدئ توتره.

«سأندم على هذا التصرف المتهور، حتى يوم مماتي!» قالت بلهاث ولم تعد تبالي باحتجاجه على براءتها التامة. ومع ذلك، أرعبها احتمال، أن يكون كلامه صائباً، وأن تعاطفها مع مانوليس، لم يكن إلا رغبة دفينة لصون كرامة خريستو.

«لا يليق الندم بامرأة جميلة مثلك.» قال بصوت أجش: «لماذا لا تكونين صادقة مع نفسك؟ ربما تجدين تصرفي

بغيضاً، ولكنك لا تنفرين مني؟ ولا تشمئزين من عناقي؟»

لم يكن في وسعها التحرك، حتى لو أرادت ذلك، لأن خريستو لثمها برقة.

رفعت يدها لتصده ولكنها ارتجفت عندما أدركت ردة فعله العنيفة، التي وترت عضلاته التي طوقتها بدفئها. ولكن عندما داعبت يداه شعرها، وجدت نفسها تقع ضحية قلبها الصاخب غير قادرة على رفضه وحواسها الساكنة تتحرك تجاوباً معه. اعترفت أنه لم يكن يتكلم سوى الحقيقة، مع أنه جرح مشاعرها. ربما كان عقلها سيرفضه وكل ما سيقوم به، لكنها أحست بالضعف لأول مرة في حياتها ولم يعد ذهنها قادراً على أن يسيطر على مشاعرها.

كان يتنفس بصعوبة عندما أفلتها. كبلتها قوة عينيه الجميلتين، وهي تحاول أن تقاومه، وتنهي استسلامها المخزي.

«كوني واقعية، يا حبيبتي.» لان فمه وهو يبتسم. «ستخسرين إذا رفضت عرضي، وستكسبين كثيراً إذا لعبت الدور الذي طلبته منك.»

«يبدو أن لا خيار لدي، أليس كذلك؟» سألت بفتور، وندمت لأنها جعلته يدرك ورطتها. وأربكتها موجة الدفء التي أحست بها والتي حاولت جاهدة أن تخمدها في جسدها كله. لماذا لم تشعر بذلك أبداً عندما كان فيليب يعانقها؟ لقد أحبته واستمتعت بعناقه لكنه لم يرهق أعصابها!

أخبرها صوت في مكان ما في داخلها أن باستطاعتها أن تهرب من الفخ الذي نصبه خريستو لها. بإمكانها أن تشرح لوالده كل شيء، وتطلب منه المساعدة. في هذه

الظروف سيعيدها فارادكسيس الكبير إلى كريت بأمان... وربما مع عمل؟

لا، هذا مستحيل. ارتجفت عندما غيّر المركب وجهة سيره، ولفح النسيم ذراعيها العاريتين، ولاحظت أن ثمن افشاء السر، سيدفعه خريستو وحده من دون شك. لا يمكنها أن تجلب له العار، مهما كان متعجرفاً وقاسياً.

ماذا لو لعبت الدور لبضعة أسابيع؟ وأعطته الفرصة كي يستعيد مركزه السابق في بلفادير؟ وما الضير في أن تكون باسم الجرح الموجود بين الأب وابنه؟ ألم تكن من أنصار القول المأثور: الغاية تبرر الوسيلة، طوال حياتها؟

«ولم لا؟» قالت أخيراً عندما بقي صامتاً. سرتها نبرة صوتها الناعمة وعززتها بضحكة ناعمة أيضاً. «وهل هناك أفضل من قضاء عطلة مدفوعة الأجر من دون عمل؟»

«رائع!» رافق بريق ساخر في عينيه المميزتين صرخته: «كنت متأكداً من أنك ستوافقين! لنحتفل بخطوبتنا على الطريقة التقليدية... طعام جيد وشراب!»

رسا المركب في المياه العميقة بعيداً عن الجزيرة الصغيرة في الصباح التالي، وعلى مسافة مرأى من مرفأ رائع، مفروشة خلفيته بمختلف النباتات ولاحظت من خلالها مجموعة من البيوت البيضاء المبنية على طراز قديم. اغتسلت في الحمام الصغير، وارتدت فستاناً قطنياً بسرعة، وتوجهت إلى سطح المركب حتى تلقي تحية الصباح على أريستيد وابنه الموجودين في قمرة القيادة يشربان القهوة التي أيقظت آيونا برائحتها اللذيذة.

ناولها تيمون فنجاناً. «هل ستسبحين أنت أيضاً قبل أن تتناولي فطورك؟» سألها.

لاحظت عندئذ، وهي تهز رأسها، أن خريستو كان في البحر، يسبح باتجاه المركب بأسلوب حر وبطيء، جعله يطفو على الماء من دون أي جهد. تمسكت بالحاجز وراقبت قوة ذراعيه وهي تسوقه إلى المركب.

تمسك بدعامة السلم الحبالي القصير وتسلقه ببطء. ناولته المنشفة، التي كانت ملقاة باهمال على أحد المقاعد المهجورة، عندما وقف هناك وبقع من الماء تتجمع تحت قدميه.

كان يرتدي سروالاً ضيقاً قصيراً، ولم تستطع أن تمنع نفسها من النظر إليه باعجاب. كانت قد وجدت صعوبة في النوم ليلة البارحة في مقصورتها التي اختارها خريستو بنفسه، فراحت تتساءل كيف سيبدو... وهي تشعر بالخجل. عرفت الآن. كان تكوينه متناسقاً ورياضياً، صدره عريضاً يكسوه شعر خفيف، بطنه مسطحاً خالياً من أي تكور.

لم تكن تعي ما كانت تفعله، ولم تتردد في تفحص جسمه المتناسق، الذي لم يفسده الإفراط في الأكل والشرب، أو إهمال التمارين الرياضية. ولأنه كان يجفف شعره بنشاط، سمحت لعينيها أن تستقرا على وجهه.

لا شك أنها مجنونة لتشارك هذا الرجل في أية خدعة! خاصة أن هذه الخدعة تتطلب منها أن تتظاهر كفتاة على وشك الزواج!

«هل تعيدين التفكير في الموضوع، آيونا؟»

توردت وجنتاها وتملكها الخجل، عندما لاحظت أنه

انتهى من تجفيف شعره وأنه يراقبها بعينين باردتين، والمنشفة في يده.

«لست أكيدة من أنني سأتمكن من الاستمرار بخداعهم.» قالت بصدق. استجمعت قوتها حتى أصبح تحفظها عائقاً لا يقهر. «بغض النظر عن كل شيء آخر، وأنا لا أعرف الكثير عنك حتى أتصرف بواقعية.» لوت أصابعها تنورتها القطنية البنفسجية اللون. «ما هو عملك؟ لماذا هناك نزاع بينك وبين والدك؟ أين التقينا...؟» اضطرب صوتها حتى توقف تماماً وهزت كتفيها بيأس. كان عليها أن تطرح هذه الأسئلة البارحة ولكنها كانت مصدومة وفاقدة الحس.

«آيونا!» قاطع جمالها المترددة بعزم هادىء. «كنت أنوي أن نتعرف إلى بعضنا البعض أكثر ونحن نتناول طعام الفطور.»

كفت عن مقاومته وهي تشعر أنها لم تعد مسيطرة على قدرها، وسمحت له أن يقودها إلى مكان المائدة المعدة على ظهر المركب ولكنه لم يكسر الصمت إلا بعد أن انتهيا من تناول الوجبة المؤلفة من البيض والحليب والزبدة المغموسة في مربى الدراقن وبعض القطع من الحلوى المتنوعة.

«يملك أبي حصة كبيرة في شركة فارادكسيس للبناء.» بدأ يقول عندما رفضت فنجان القهوة بتهذيب: «أسسها مع رفيقه ثلاميوس جاكفوس بعد الحرب العالمية الثانية. باع ثلاميوس حصته بعد حوالي عشرين سنة. وموّل برأسماله شركة صغيرة مختصة في بناء المراكب في جزيرة كافوس، وجعلها تناسب أذواق الطبقة الأرستقراطية التي كانت تريد أن تبدو مراكبها رائعة كمظهر أصحابها.»

توقف حتى يأخذ رشفة طويلة من فنجان قهوته. «افترض أبي أن ابنه البكر سيصبح جزءاً مهماً في شركة فارادكسيس للبناء. كان من المستحيل أن أعمل لديه لأنني بعد أن عدت من خدمتي العسكرية لم أرد سوى أن أشارك ثلاميوس في عمله.» توقف وشجعته آيونا بحركة من رأسها الذهبي الشعر.

«ماذا حدث؟»

«غضب والدي.» اعترف. «كان أخي ميكوس ما يزال في السادسة عشرة من عمره في ذلك الوقت وكان يتلقى علومه في مدرسة في الخارج. ويحتاج إلى كثير من الوقت حتى ينتهي من تعليمه وخدمته العسكرية ويصبح قادراً على إضافة اسم فارادكسيس جديد في اللعبة التجارية.»

«أهذا هو سبب النزاع؟ ألم يحاول أحدكما التنازل بعد كل ذلك الوقت؟» حدقت آيونا إلى وجهه الخالي من أي تعبير. «ما الذي أبعدكما عن بعضكما البعض؟ الكبرياء؟»

«شيء من هذا القبيل، بلا شك.» قال بفتور: «كما تتطلب المشاجرة شخصين كذلك القيام بترضية يحتاج إلى اثنين، وإلى جانب ذلك...»

توقف وبدا مستغرقاً في تفكير عميق، كأنه يحدق في ماضيه... ماضٍ يحتوي على كل عناصر الدراما اليونانية الكلاسيكية.

«وإلى جانب ذلك...؟» سألت بتهذيب، عندما لم تعد تحتمل صمته.

أولاها اهتمامه من جديد، ولم تستطع أن تقرأ تعبير عينيه المبهم. «وهناك أحداث كثيرة أخرى، لا يمكن تحديدها.»

قررت أن لا تظهر تعاطفها معه. «لا أعتقد بأن العطلة المدفوعة، دافع مهم، تستطيع إقناعي به كي استمر في هذه المهزلة، إذا كان والدك مرعباً لهذه الدرجة. لا أعتقد بأنه سيتعاطف مع دجّالة.»

«لكنه سيضعف أمام وردة انكليزية مع أنها لا تشبه أمي كثيراً.» تفحص ملامحها الناعمة. «صدقيني، ما كنت سأجد مرشحاً أفضل منك. أما بالنسبة للدفع...» هز كتفيه. «سنتفاوض بعد أن يرحب بي في بلفادير مرة ثانية.»

كان صوته ناعماً هذه المرة.

لاحظت أن حنكه قاسٍ وأن لحيته السوداء أعطته مظهر أحد القراصنة الذين اختبأوا في الجزيرة التي ادعى أنها موطنه.

حاولت جاهدة أن تستجمع أفكارها وقالت: «لا بد أنك بدأت العمل مع عرابك منذ عدة سنوات؟»

«تحتاج شركة صغيرة مثلها إلى مندوب مستعد للسفر في أي وقت.» تمطى بكسل. إنه قطة كبيرة تستمتع بأشعة الشمس. جميلة للعيان. لكن خطرة في اللعب. «لا يرغب رجال الأعمال في القيام برحلات طويلة ومملة دائماً كي يعثروا على حوض جاف في أحد الجزر النائية.»

«لقد فهمت.»

كم كانت غبية عندما افترضت أن مساهمته في أعمال عرابه كانت يدوية في حين أنه يمتلك حرفة مهمة وطموحاً. ولكنها كانت مخدوعة براحتي يديه القاسيتين. حاجز سخيف كان عليها أن تزيله، عندما برهن عن براعة في استعمال اللغة الانكليزية، التي اكتسبها من خلال رحلاته المتعددة.

لم تدرك أنها كانت تحدق إلى يديه وفوجئت عندما نظر إليهما ومد راحتي يديه ليلاحظ قساوتهما بابتسامة ساخرة.

«هل تثيران فضولك؟ تتساءلين لم تبدوان كيدي عامل. هذا سهل تفسيره. تخليت عن منصبي في شركة فلاميوس منذ سنتين، حتى أحقق أمنية والدي الغالية. أبيع نفسي قلباً وقالباً لشركة فارادكسيس للبناء، أحمل سلالمهم، أستخدم معاولهم، أقود سياراتهم واسمي محفور عليها.»

«هل تعني أنك بدأت تحاول كسب ثقته؟» توقفت عندما قاطعها بضحكة عالية.

«لم يعرف والدي ولن يبالي إذا عرف.» قال بسخرية: «بدأت عندما شعرت بأنني بحاجة لاستنشاق هواء نقي، وللاحساس بفائدة الألم... ألم جسدي يذكرني، بأنني على قيد الحياة، عندما أكسب معيشتي بعرق جبيني.» أرجع كرسيه إلى الوراء، ووقف وظهره مواجه لها يحدق إلى المرفأ الصغير الذي ينتظرهم عندما ترفع المرساة.

بقيت آيونا صامتة، تراقب تصلب جسده، وهي مدركة أنه كان يحارب معركة شخصية، لم يكشف تفاصيلها لها حتى الآن. استدار بعد بضع لحظات وبدا مسترخياً. «كنت أشتغل في موقع ليس بعيداً عن ال غريكو، عندما اتصل بي ميكوس ليعلمني بوفاة فلاميوس. أريستيد موظف أمين وصديقي منذ الطفولة. لم أجد أي مشكلة عندما طلبت منه أن يوافيني في كريت لحضور المأتم.»

«ميكوس من بلفادير أيضاً؟» سألت بضعف وهي تحاول أن تقيّم المحنة التي تنتظرها.

أكدت هزة رأس خريستو الإيجابية مخاوفها: «يمضي هو وعائلته عطلتهم الصيفية هناك.»

إذن محنتها لا تتعلق بوالد خريستو وزوجته فقط، لاحظت بألم. كلما زاد عدد الحضور كلما صعب دورها!

«ما بك؟» زم خريستو شفتيه عندما أدرك خوفها. «هل من الصعب عليك أن تتظاهري أنك واقعة في حبي أمام جمهور؟»

«من دون تمرين، نعم!» ارتدت إلى الوراء ولاحظت بعد فوات الأوان ابتسامته الساخرة ونظرته العبثية وأنه تعمد إساءة فهم توكيدها.

«لو أنني عرفت البارحة أنك متحمسة لإداء الدور جيداً، لكنت دعوتك لمشاركتي مقصورتي، عندما انتهت مهمتي في قمرة القيادة.»

«أنت تعرف ماذا أعني.» قالت بفتور وأغضبتها نبرة صوته الساخرة، وتمنت لو أنها لم تتصارع معه. «سترغب عائلتك في معرفة بعض التفاصيل الشخصية... أين التقينا، مثلاً؟»

«في كريت، بالطبع!» رفع حاجبيه. «هل هناك أفضل من قول الحقيقة؟»

«بإمكانك أن تسأل ذلك؟» أرادت أن تصفع وجهه الساخر. وقفت وشعرت أنها على حافة الانهيار. «لن تفرح عائلتك عندما تعرف أنك عثرت علي في حانة!»

«تصحيح! أنت من عثر علي!» سخر من غضبها. «بإمكاننا أن نعدّل الحقيقة. على كل حال، سنقول لهم

إننا التقينا في آل غريكو ووقعنا في الحب من أول نظرة.»

«في غضون يوم واحد؟»

«ولم لا؟» ابتسم بعبث ونظره مثبت على عينيها البنيتين من دون رحمة. «هذا ما احتاجه ثيو عندما وقع في حب والدتي. سيعزز هذا الاعتراف مكانتك عنده.»

«تعني مكانتنا.» قالت بازدراء. «إلى أي مدى أنت مستعد لأن تخدع، حتى تحتك بلشادير؟ إني أتساءل؟»

«على الرجل أن يلعب أوراقه في الحياة وإذا لم تكن كافية ليحصل على مبتغاه عليه إذاً أن يراوغ.» اخترقتها عيناه الذهبيتان وعكستا التوتر الذي زادته حدة صوته. «والآن... الوقت يمر بسرعة. علي أن أرتدي ثياباً تناسب الاحتفال المحزن الذي ينتظرني.»

أحنى رأسه قبل أن يبتعد باتجاه مقصورته، تاركاً إياها حزينة ويائسة، وتمنت لو أنها تستطيع أن تتخلى عن خريستو فارانكسيس ولعبته الشيطانية، وعرفت أن هذا يخالف طبيعتها الضعيفة.

رفع أريستيد المرساة في الوقت الذي ظهر فيه خريستو. ثم قاد المركب باتجاه الشاطىء وثبته قرب حاجز خشبي قصير. تفحصته آيونا عندما عاد وبدا أنيقاً جداً. شعره مسرّح إلى الوراء بترتيب، وبدلته رمادية وعصرية يرتدي تحتها قميصاً أبيض أبرز لون بشرته الداكن. حبست أنفاسها لأن بدلته تليق برجل متحضر، وعينيه الكئيبتين تلقيان بوجه قرصان، بالتأكيد عززتهما لحيته التي لم تحلق بعد.

«هل تجدين مظهري مثيراً للاستياء؟» رفع يده ليلمس

حنكه. «إنها إحدى عادات جزيرتنا عندما يطوي الموت أحدهم، يجب على أصدقائه أن يبرهنوا عن حزنهم، بعدم الاهتمام بمظهرهم الخارجي.»

«أعرف ذلك.» اعترفت. «لقد أثارت بدلتك اهتمامي للحظة و...» تلعثمت وتساءلت كيف تفسر ذلك، بعد أن تقبلت مظهره في ذلك الصباح... أثار التغاير الذي بين البدلة العصرية ووجه القرصان الخطير الذعر في قلبها.

«هل كنت تتخيلين صورة زوجك الملتحي وهو يعانقك بحماس أقل؟»

«بالطبع، لا!» فكرت بذلك بقوة لأن فكرة عناقه قد خطرت على بالها.

«أنا مسرور لأن مظهري الخارجي لا يؤثر عليك.» قال بنعومة.

«لم أعن ذلك!» بدأت تعترض بتوتر، وتوقفت عندما قاطعها بأسلوب توكيدي.

«لا؟» لم تدم ابتسامته أكثر من ثانية، ولم تؤثر على برنيه. «لكن الموت مثل الحياة، مقبول ومندمج تماماً مع المجتمع، أليس كذلك؟ مهما عنيت... تأكدي أن حزني سينتهي غداً وخطتي التي تهدف إلى استعادة مركزي في بيت والدي قد بدأت لتوها.»

الفصل الخامس

«بإمكاننا أن نترك الأمتعة هنا.» قال وهو يساعدها على النزول من المركب على الرصيف الصغير. «سيحضرها أريستيد بنفسه إلى بلفادير. النقليات محدودة هنا وأخشى ألا أجد من يقلنا إلى هناك. الدراجة، الحمار والمركب هي وسائل النقل المعتادة هنا بصرف النظر عن سيارة والدي. أتمنى ألا تجديها همجية.»

«بخلاف ذلك، أجدها جميلة جداً.» رفضت أن تثبط سخريته من عزيمتها. نظرت حولها تستوعب مناظر المرفأ الملون الصغير بمجموعة حاناته تحت أشجار النخيل الجميلة والتي تعززها هضبات عالية مزروعة بالصنوبر.

«إني مسرور.» كانت ابتسامته ضعيفة لكن مفعمة بالتحدي. «يلزمنا خمس عشرة دقيقة حتى نصل إلى بلفادير على الأقدام.» نظر إلى حذائها الرياضي. «يبدو أنك تعلمت شيئاً من خلال إقامتك على التربة اليونانية.»

لم تعترض وأجابت ببساطة. «إني أحب المشي كثيراً.»

رأت آيونا بعض المتاجر التي تبيع خزفاً محلي الصنع، موزعة هنا وهناك ورأت بعض الحانات، التي يقصدها الرجال المسنون لاحتساء القهوة اليونانية ومناقشة أعمالهم ولعب الورق في بعض المناسبات.

عندما تركا المرفأ بقواربه المتعددة الأشكال، وعبرا

زقاقاً مطلياً باللون الأبيض، حيث شاهدت المزيد من المتاجر المفصولة عن بعضها بعضاً بالحانات.

لاحظت آيونا أنها مخصصة لسكان الجزيرة. متاجر عامة مظلمة، تعرض على رفوفها مجموعة من البضائع المختلفة. بائعو الخضر والفاكهة، يتنافسون على بيع الدراقن والبندورة، الفرن ببابه الأزرق، انبعثت من داخله رائحة الخبز اللذيذة، ومتجر الحلوى بنوافذه المظلمة، يعرض أنواعاً مختلفة من المعجنات، التي تثير الشهية، حتى بعد تناول الفطور.

اعتلت، المتاجر، شرفات يزينها نبات الراعي الشائك، وفي الطابق الأرضي تمسكت جذوع أشجار الياسمين بسطوح الجدران القاسية، ونشر الهواء رائحتها العطرة ورائحة الحبق الموضوعة أصصه أمام كل باب.

لاحظت آيونا، أن الأعين تلاحقهما في كل مكان. رفع الرجال قبعاتهم عندما مرا، وتوقفت النساء اللواتي يرتدين ثياباً سوداء، وهنّ في حداد مستمر، عن قطف الأعشاب. وأدارت الأمهات اللواتي يتسوقن مع أولادهن رؤوسهن، ولم يحاولن إخفاء دهشتهن. حتى الشبان توقفوا ليلقوا نظرة شاملة عليهما. ولم يتجاهل مرورهما سوى السياح والأولاد.

بدأت تشعر بالتوتر برغم أنها كانت مدركة أن اليونانيين يعتبرون التحديق نوعاً من الاهتمام.

«ليس بعيداً كثيراً.» أبطأ خريستو خطواته بعد أن لاحظ تورد وجنتيها. «ربما كان علي أن أحذرك من الطريق.»

«ربما كان عليك أن تحذرني من أن عودة الإبن الضال

ستثير هذا الاهتمام بين السكان!» أجابت بسخرية، وهي مدركة بحزن أن جملته ستكون بمثابة نذير شؤم في الأيام المقبلة.

«أنا؟» تظاهر بالاندهاش. «اعتقدت أن جمالك هو الذي أدار رؤوسهم.»

«لا تعبث معي، أرجوك، يا خريستو!» لم يكن الغرور إحدى صفاتها أبداً. «أي شخص كان سيظن أنك مشهور. لم أكن أعرف أن النزاع الذي بينك وبين والدك معروف لهذه الدرجة!»

هز كتفيه، ووضع يديه في جيبي سرواله، بطريقة كانت ستجفل خياطه. «كافوس مكان صغير. يصبح كل سكان الجزيرة، قضاة وهيئة محلفين، إذا أخطأ أحد أبنائها.

«تجعل الأمر يبدو وكأنك ارتكبت جريمة لا تغتفر.» قالت بجرأة، وخدرتها العاطفة الكامنة في صوته. لكنها لم تكن مستعدة لتقبل ما سيحدث بعد ذلك.

«ربما فعلت ذلك.» وقف إلى جانب زقاق ضيق مهجور وشدها إلى الحائط. طوقها بذراعيه وحاول معانقتها.

«خريستو!» تقلص حلقها عندما اخترقتها نظرته. كان هناك شيء خطير وعميق يحدث، لم تستطع أن تفهمه. رغبة عنيفة هددت أملها في قضاء أسبوع هادىء في بيته حتى يقرر خريستو الاستغناء عن خدماتها.

«لا داعي للخوف مني، آيونا.» بدا صوته أجش وقاسياً. «أعدك بألا أؤذيك.» داعبت يده شعرها وبدأ قلبها يخفق بسرعة جنونية. شعرت وكأنها في حقل مغناطيسي، غير قادرة على التحرك. حدق إلى وجهها وعرفت أنه سيحاول

لثمها وأنها لن تستطيع منعه. لم ترد أن تفعل شيئاً. لم تحاول أن تنسحب، ولكنها ارتجفت عندما لمست لحيته الكثيفة بشرتها الناعمة.

«خريستو، لا!» صدمتها الطريقة التي تجاوبت بها معه وكأنها فقدت السيطرة تماماً على ارادتها. وضعت يدها على صدره تطالب بحريتها. خجلت وفزعت من تجاوبها. شتمت نفسها بصمت، لأنها لم تستطع أن تسيطر على نفسها. إذا كان قد ظن فعلاً أنها كانت تبحث عن حبيب تلك الليلة، في آل غريكو، فماذا سيظن بها الآن؟

«إذا كنا سنقنع أهلي بأنني عدت تائباً، وبأنني على وشك أن أبدأ حياة عائلية مستقرة، يجب أن نبرهن لهم ذلك.»

«ليس لدرجة القيام بأدوار الغرام أمام الناس!» استجمعت شجاعتها لمقاومة محاولاته، غير قادرة على ايجاد تفسير أو مبرر لانجذابها إليه.

«أمام الناس؟» نظر إليها بسخرية. «الشاهد الوحيد الذي أراه الآن هو قطة صغيرة مستلقية تحت خميلة الخبازى. لا داعي للخوف منها.»

لم يبدُ عليه الاستعجال لاطلاق سراحها وتابع تفحصه وجهها العدائي بعينين داكنتين. فيما حاولت أن تملص معصميها من بين أصابعه القوية، التي طوقتهما.

«تأكدي يا آيونا أن رغبتي بك ليست وهمية أبداً.» قال بفتور. «أما بالنسبة لعائلتي...» توقف وجمدتها قوة تعبير وجهه. «إذا كنت لا تستطيعين أن تحتفظي بنظرات وابتسامات امرأة واقعة في الحب، من دون تدريب، بامكاننا أن نتمرن سراً، حتى نضيف المصداقية إلى أدائك.»

«لا أعتقد أن هذا ضروري.» قالت بسرعة، عندما أفلت معصميها أخيراً، وتلألأت عيناه بوميض ساخر عندما تراجعت عنه خطوتين. «سأجبر نفسي كي أبدو متيمة بك وأتجنب شكوكهم، حتى يحين الوقت المناسب ونضع نهاية لهذه المهزلة.»

«رائع.» بدأت آيونا تشعر بوخز في كل أنحاء جسمها تحت نظرته الساخرة. «إذا وجدت التمرين صعباً عليك، تذكري، أنني سأكون مستعداً لأن أزودك بدروس ليلية، تساعدك على تحسين صورتك كعروس متيمة.»

حبست أنفاسها، وأدركت التهديد الكامن وراء كلماته المهذبة. إذا كان خريستو يعتبر أن ما حدث بينهما هو مجرد عناق بسيط، كان الله في عون المرأة التي ستصبح هدفاً له!

حدّقت في وجهه المهيب بعد أن أخفت سخطها. «سأفكر في عرضك.» تظاهرت بالفتور. «أما يزال الطريق بعيداً؟»

رفع حاجبيه الأسودين بذهول. «بردة فعلك، هذه أعتقد بأن الطريق طويلة جداً.»

تعمد توبيخها بطريقة ساخرة. ربما أراد معاقبتها لأنها لم تف بوعدها في آل غريكو. عليها أن تتجاهل تلميحاته وترفض أن تمنحه المتعة حين يراها تبتلع الطعم. وستتعلم كيف تتخلص من ضعفها مع مرور الوقت ربما إذا استمرت في تذكير نفسها بأنه هو المدين لها وليس العكس... فسيساعدها ذلك.

«حسناً.» ابتسمت له. «أنت تعرف ماذا يقولون... السفر

بأمل أفضل من الوصول... والمكان الوحيد الذي يهمني في هذه اللحظة هو بلفادير.»

«إذن ارتاحي... لأن آمالك على وشك أن تتحقق. سترين البيت عندما نصل إلى آخر الزقاق.»

أطاعت آيونا أوامره الحاسمة وارتاحت عندما أكملا طريقهما وتبعته حتى وصلا إلى الشارع الرئيسي. كانت الطريق مغبرة، ولاحظت آيونا أن هناك جداراً حجرياً، قذرت طوله بثلاثة أمتار يحجب ممراً ملتوياً يتجه صعوداً وتحيط به أشجار الصنوبر التي تؤجت الهضاب العالية وأبرزت لون السماء الأزرق الصافي.

«أهلاً بك في بلفادير.» توقفا أمام باب كبير مصنوع من خشب السنديان. استدار خريستو ليواجهها وبدا تعبيره مبهماً. «هل أنت مستعدة؟» انبثق من عينيه بريق التحدي وهو يحدق إلى وجهها المتورد من أشعة الشمس.

بقيت صامتة للحظة ثم هزت كتفيها النحيلتين وأضافت. «إذا كنت أنت مستعداً.»

فُتح الباب بسهولة تراجع خريستو إلى الوراء ليسمح لها بالدخول. شعرت بالتوتر والحماس، وهي تخطو ثلاث خطوات ووجدت نفسها في فناء مرصوف بإتقان.

أضفت أشجار الصنوبر والرمان على المكان ارتفاعاً وظلالاً، بينما نشر نبات اندفلي المزروع على الجوانب عطره للترحيب بها. وغمرت الورود ونبات الراعي المنتشر، في غير اتساق، الأواني الخزفية والأحواض الحجرية. بدا البيت متناسقاً خلف هذا العرض السخي، بأحجاره البيضاء، ونوافذه المقوسة، المزودة بمصاريع

من خشب الزيتون، وباب واحد مكسو بنبات الليمون الوارف.

«أوه، خريستو!» تنهدت مأخوذة بجمال المكان. «كم هو جميل!»

استدارت عندما لم يرد عليها، وأدركت مشاعر الحنين إلى الماضي على وجهه وشعرت بنفسها كمتسللة في أملاك خاصة. رفعت يديها، لتفرك راحتيها الدافئتين على ذراعيها، عندما سرت رعشة البرد في جسمها.

«خائفة؟» سأل بلطف. «أعدك بألا يلتهمك أحد.»

«هل يتوقعون حضورك؟» لم تتمكن من إخفاء حماسها. عليها أن تفي بوعدها، ولكن من المستحيل أن تتخلص من مخاوفها التي تملكتها.

بدا المكان مهجوراً، وهادئاً في ذلك الصباح الحار، هز خريستو رأسه وكأنه قرأ أفكارها ورفع يده إلى جرس الباب.

أحدث صوت الجرس صدىً عميقاً في مكان ما في الداخل.

فُتح الباب بعد لحظات. من قبل إمرأة في أواخر الخمسين من عمرها ما يزال وجهها المدوّر جميلاً وشعرها الأسود مرفوعاً على شكل كعكة.

«خريستو! عزيزي، ابني العزيز... إني سعيدة برؤيتك من جديد.» ترقرقت الدموع في عينيها. لم ترتاب آيونا في حب تلك المرأة الكامن وراء ترحيبها الحار عندما فتحت يديها وتقدم خريستو منها ليعانقها وهو يحني رأسه لقصر قامتها حتى تقبل وجنتيه القاسيتين.

تأثرت وشعرت بالحرج أمام دموع تلك المرأة الطيبة. كانت على وشك أن تتراجع، عندما شدها خريستو إليه.

«لم أعد فقط بمفردي.» قال برقة: «ولكنني أحضرت معي خطيبتي... آيونا.»

اتسعت عينا كاليوبي الكبيرتان من وقع الصدمة ونقلت نظرها بينهما.

«إني سعيدة لأجلكما!» لا يمكن إنكار مودتها وهي تعانق آيونا. «هذا خبر رائع!» شبكت أصابعها ببعضهما البعض، تعبيراً عن حماسها وفرحها. «هل جئتما إلى كافوس لتتزوجا هنا هذا الصيف؟ لتمحو الماضي ولتبدأ حياة جديدة بيننا؟ سيفرح ثيو كثيراً.»

يا إلهي! هذا أسوأ بكثير مما توقعته. ضعفت آيونا أمام حماس المرأة. ماذا عساها أن تقول؟ كيف باستطاعتها أن تكذب عليها بعد أن أظهرت كل هذا الحنان؟ بدت خطتهما محفوفة بالمخاطر. والآن بعد أن التقت بزوجة والده، عليها أن تبعد أي فكرة بخداعها مهما قصرت مدة إقامتها في بلفادير.

استدارت نحو خريستو وتوسلت بصمت أن يقوم بالمبادرة الأولى. كان بامكانه أن يشرح لها أنهما لا ينويان الزواج في الوقت الحاضر على الأقل.

لكنه أمسك معصمها ورفع يدها إلى فمه ليطبع قبلة ناعمة على بشرتها الحساسة، بينما كان يحدق إلى زوجة والده من خلال رموشه الكثيفة التي حجبت عينيه الكبيرتين.

«هذا ما حلمت أن أفعله منذ وقت طويل.» قال ببساطة:

أرخى وهج دافئ خطوط وجه كاليوبي المتوتر واعتصر ألم الندم قلبها. لم يتفوه خريستو إلا بالحقيقة ما عدا... أنها لم تكن ضمن أحلامه.

«بدأ النور يتسلل من خلال الظلام.» قالت بحماس.

«إحساس أتمنى أن يشعر به والدي.» قال خريستو باقتضاب. «هل هو هنا؟»

أنكرت المرأة. «لقد ذهب إلى بيت فلاميوس. بقيت هنا لأرحب بكما ولاصطحبك إلى هناك.»

«آيونا...» استدار خريستو نحوها وأمسك يديها بوقار. «لا مكان لك حيث يجب أن أذهب. كوني صبورة، يا حبيبتي. سنناقش خططنا المستقبلية عندما أعود.»

«خريستو! أرجوك!» شعرت بالانزعاج من تورد خديها. كيف تجرأ على أن يعطي هذا الانطباع وهو أن كل شيء يسير على ما يرام بينهما؟ يجب أن توقفه عند حده وإلا سيجبرها على ارتداء فستان الفرح بوشاحه الطويل، وهي تتبع شموع العرس طوال الممر إلى الكنيسة. أربكتها الفكرة وشعرت بقلبها يقفز من مكانه... خريستو إلى جانبها في المذبح... خريستو يصرح بقسمه... خريستو في المخدع...

«لاحقاً، يا حبيبتي، لاحقاً.» بدا حزيناً وهو ينظر إليها.

«ربما بعد فوات الأوان...» بلعت ريقها بصعوبة عندما وضع يديه على خدها وقبلها لكن بحرارة. كانت تلهث عندما تركها لأنها كانت تشعر بالغضب وليس لأنها لم تستطع أن تتنفس بسهولة أو لأنه اختار أن يسكتها بتلك الطريقة الذكية التي أدت إلى تورد وجنتيها.

«خريستو، يا عزيزي...» ظهرت كاليوبي من جديد بعد أن اختفت للحظة وبدت هادئة وجميلة في لباسها الأسود. «يجب أن نذهب.» ترددت بلطف ثم استدارت نحو أيونا. «سامحيني، لأنني سأتركك بهذه السرعة، بعد أول لقاء لنا.» كانت ابتسامتها دافئة وصادقة، جعلتها تخجل من الخداع الذي كانت تمارسه. «طلبت من ماريا أن تعد لك غرفة. أتمنى أن تعتبري بلفادير بيتك.»

«شكراً لك.» لم تتمكن من قول المزيد عندما دست كاليوبي يدها تحت ذراع خريستو واستعدت لترك البيت. لا يمكنها أن تستجوب شريكها في المؤامرة الآن... لكن عندما يعود وتتمكن من استفراده... «سأفكر فيكما.» أضافت بتهذيب. وراقبتهما وهما يخرجان من البيت.

بعد لحظات قادتها الخادمة، إلى غرفة نوم واسعة، لا يمكن مقارنتها حتى بغرف فنادق الدرجة الأولى.

«ورود.» اقتربت من الإناء المثبت فوق طاولة رخامية بجانب السرير العريض. «كم هي جميلة!»

«اعتقد فارادكسيس الكبير أنها ستعجبك.» ابتسمت الفتاة اليونانية بلطف. «لم تصل أمتعتك بعد ولقد طلب مني أن أقدم لك عصيراً، في أي مكان ترغبينه.»

ترددت أيونا وهي على وشك أن ترفض عرضها. كانت إيماءة لطف وضيافة لم تجرؤ على رفضها على الرغم من شعورها بألم في معدتها.

«سأكتفي بعصير البرتقال في الحديقة.» وافقت وردت ماريا عليها بابتسامة وهي تخرج من الغرفة.

اقتربت من نافذة مغلقة، وفتحت باباً يتصل بشرفة

صغيرة، ووجدت نفسها، تنظر إلى سطوح بيوت المدينة الصغيرة، وإلى خليج رائع. تذكرت درج البيت، الذي ارتقته مع خريستو، ولاحظت أن البيت، لم يُبنَ على قاعدة منبسطة، بل حفر على الصخر، وبدا أكبر مما اعتقدت في البداية.

لم تجد أية صعوبة في إيجاد الطابق الأول. استدارت هذه المرة، بعيداً عن الباب الأمامي، ومشت عبر غرفة كبيرة مجهزة بأثاث بسيط، لكن غالي الثمن وتكسو أرضيتها ألواح من الرخام الأبيض وزينتها ثلاث سجادات يونانية الصنع. استطاعت من خلال شرفة مغربية الطراز أن ترى جزء الحديقة الذي كان محجوباً عن واجهة البيت. توجت الباحة الرئيسية نافورة ماء امتزج صوتها بحفيف الأشجار.

لم تكن قد جلست بعد، عندما وصلت ماريا تحمل صينية عليها كوب من عصير البرتقال، وطبق من الحلوى.

وجدتها كاليوبي هناك بعد ساعة ونصف.

«أيونا، عزيزتي.» اقتربت المرأة منها. «إني آسفة لأنني تركتك وحيدة، وخاصة أنها زيارتك الأولى للبيت، ولكن لا أعتقد أن الماتم ملائم لتلتقي فيه شيو. إلى جانب ذلك...» توقفت. «في هذه الظروف، من مصلحة خريستو أن يتكلم مع والده سراً، حتى يسويا خلافاتهما قبل أن نحتفل بسعادتك.»

«وهل سيفعلان ذلك؟» سألت أيونا، غير قادرة على إخفاء قلقها. ماذا لو ذهب جهدها سدى؟ ماذا لو رفض فارادكسيس أن يستقبل ابنه في بيته؟ وكيف سيبرر خريستو خطفه لها عندئذ؟

«بالتأكيد، يا عزيزتي.» وضعت كاليوبي يدها على معصم آيونا المطبق باحكام عندما جلست إلى جانبها. «ذهب الرجال إلى حانة ليشربوا نخب فلاميوس الأخير وهذا سيعطي خريستو وثيو فرصة للاسترخاء، ولمصارحة بعضهما البعض، وتأكدي من أن ثيو سيكون مستعداً لدفن الماضي بعد أن قرر خريستو الزواج وللترحيب بعروسته في بلفادير.» ترقرقت الدموع في عينيها. «لقد كانت السنوات الست الماضية، بمثابة كابوس لنا جميعاً، لكن الآن بعد أن كسر خريستو الصمت بينه وبين والده سنصبح عائلة واحدة من جديد. كان ثيو خائفاً من أن يستمر خريستو في العيش مع الماضي... ويصبح ناسكاً...» هزت رأسها بحزن. «لا يريد أن يحصل ذلك لابنه البكر!»

عبست آيونا. لم يبالغ خريستو إذاً في تصوير الصدع القائم بينه وبين والده. قررت أن تحث كاليوبي على الاعتراف، عندما لم تستطع أن تتخلص من مخاوفها.

«هل كانت الأمور سيئة بينهما لهذه الدرجة؟» سألت بتردد.

كانت عينا كاليوبي الذكيتان صادقتين في تقييمهما. «كانا دائماً على شجار، كقطعتين من حجر الصوان. هذا لا يعني أن ثيو لم يكن مهتماً به... إذا كان هذا ما تفكرين فيه... بخلاف ذلك تماماً.» أطلقت تنهيدة عميقة. «كانت طريقته في إظهار عاطفته، تهدف إلى جعله رجلاً قوياً. ربما كانت الأمور ستختلف، لو بقيت كريستينا على قيد الحياة. لم يكن في وسعي التدخل، مع أنني أحبهما كثيراً...» توقفت وبدت مرتبكة.

«أرجوك، تابعي.» توسلت آيونا، وهي متحمسة، لأن تعرف المزيد عن ذلك اليوناني الغامض الذي قلب حياتها. «أخبرني خريستو القليل عن حياته السابقة. هذا سيساعدني على معرفته بشكل أفضل.»

«ماذا علي أن أخبرك؟» فكرت كاليوبي ملياً. «إنه كان أرستقراطياً وإن العمل الشاق غيّره كما أراد ثيو. كان يقول دائماً. «إزرع قليلاً تحصد قليلاً!»

«ماذا عن ميكوس، هل كان يعامله بالطريقة نفسها؟» أشركت آيونا موضوع ميكوس في حديثهما بعفوية.

«لا.» هزت رأسها نفياً.

«يختلف ميكوس عن خريستو كثيراً. إنه محب، كريم، ولطيف... تفتخر به أية أم. هذا لا يعني أنه أقل رجولة من أخيه... إنه فقط...»

«ليس قاسياً كخريستو.» قالت آيونا باقتضاب وأنكرت كاليوبي افتراضها.

«قاسٍ؟ لا، أبداً. ليست كلمة مناسبة. لين، ربما.»

«من الواضح أن خريستو يحبك جداً.» تأثرت آيونا بمحبتها الصادقة، وأدركت أن خريستو سيستمر في محبته لها مهما كان ثيو قاسياً معه. شعرت بعاطفة دافئة تجاه المرأة اليونانية اللطيفة.

«أعرف، وأنا مقدرة له ذلك. ليس من السهل تربية ولد امرأة أخرى وجعل طفولته طفولة سعيدة. لكن خريستو لم يكرهني يوماً، وبدا مقرباً جداً من أخيه مع أنه يكبره بخمس سنوات.»

«أخبرني خريستو أنه عاش هنا حتى أصبح في الثانية

عشرة من عمره؟» شجعت آيونا سميرتها على الاستمرار في سرد ذكرياتها بهدوء، وحثها حماسها على التأكد من صدق خريستو. كان يمثل التحدي منذ البداية. أملت في أن تفهمه قبل أن ينفصلا نهائياً... أو على الأقل حتى تشبع فضولها.

«هذا صحيح.» قالت كاليوبي: «أرسله ثيو إلى مدرسة في أثينا. بالطبع كان يعود في عطلات الصيف الطويلة. تساءلت في ذلك الوقت إذا كان بُعده سيؤثر على علاقته بميكوس، لكنه لم يؤثر أبداً.» ابتسمت لذكريات الماضي. «كان ميكوس يعبد الأرض التي يمشي عليها خريستو. كان مستعداً لأن يفعل أي شيء يأمره به خريستو! لكن خريستو لم يستغل ذلك أبداً، ولم يحاول أن يهينه أو يستخف به بسبب أنه أصغر سناً منه أو لأنه حساس أكثر من اللزوم.»

بامكان كل واحد منا أن يتغير، فكرت آيونا بأسف. كان عدم استغلال خريستو لأخيه شيئاً رائعاً. زودتها كاليوبي بمعلومات قيّمة عن طفولته، وجعلتها تعيد النظر في موقفها منه. عرفت الكثير عنه خلال خمس عشرة دقيقة أمضتها مع زوجة والده، أكثر مما تعلمت في ساعات أمضتها برفقته.

«وعندما انتهى من مدرسته؟» سألت بلطف.

«عاد إلى هنا عندما أصبح في الثامنة عشرة من عمره... رجلاً.» هزت كاليوبي رأسها بحزن. «ولم يسعهما البيت الكبير... هو ووالده!» حدقت إلى الفراغ للحظة. «كان وضعاً لا يمكن لأي امرأة أن تصلحه... ومع ذلك أحببت الاثنين.»

«لماذا كانت الأمور سيئة بينهما؟» أصرت آيونا على

معرفة الجواب، لأنه سيساعدها على فهم طبيعة هذا الرجل المعقدة.

هزت كاليوبي كتفيها بيأس. «أعترف أن ثيو كان يسر في تحريضه، واجباره على تحدي سلطته. كان يشعر برضى تام وهو يرى خريستو يقاوم. ولقد كان فخوراً بابنه القوي، العدائي، لكنه لم يسمح له بالفوز، مهما كانت وسائله مؤلمة. ترك خريستو البيت، ورفض أن يدخل الجامعة، وبعد أن أدى خدمته العسكرية، عاد إلى كافوس لكن ليس إلى بلفادير. اختار العمل مع عرابه. والآن تحطمت حياته من جديد بعد أن مات فلاميوس.» وماذا عن الفتاة التي كان مرتبطاً بها؟ لم تذكرها كاليوبي لأن قصتها كانت إهانة أخرى لوالده، وانفجاراً ثانياً في العائلة. وإلى جانب ذلك لم يستمر خريستو في العمل لدى فلاميوس. لقد توظف في شركة فأرادكسيس للبناء منذ سنتين، ومن دون علم والده. لم يستعمل ذكاءه بل قوته الجسدية وذلك لمصلحة الشركة. لماذا؟ هل اعتقد بأنها كانت الطريقة الوحيدة لخلاصه، إلى أن تعرف بها ووجد أنها خياراً أسهل؟

أرادت أن تطرح عليها المزيد من الأسئلة، لكنها وجدت نفسها معقودة اللسان بشكل غريب ثم سمعت أصوات بعض الرجال. توترت أعصابها وتملكها الخوف.

«أسترخي، سيحبك بقدر ما يحب ابنه.» ابتسمت لها كاليوبي وربتت على كتفيها. جاهلة كم بدت جملتها مقلقة. «لقد أخبرني خريستو الكثير عنك ونحن في طريقنا إلى الكنيسة... جدتك... والطريقة التي وقع بها في حبك من أول نظرة. صدقيني، يا عزيزتي، «ستسحرين ثيو بالتأكيد.»

حتى يأتي الوقت، وينتهي فيه دوريا وقفت آيونا غير قادرة على أن تسيطر على توترها، عندما ارتفعت الأصوات، ودخل خريستو مع رجل مسن. بالطبع كان ثيو، عرفت فوراً. بدا في أواخر الستين من عمره، قدرت طوله بست أقدام. شعره داكن، وجسده متناسق وثابت، أكثر من الرجل الواقف إلى جانبه. وكان الوجه الذي تفحصها برضى تام، قاسياً، على الرغم من تغضن بشرته الملونة بلون البرونز، نتيجة تعرضها للشمس، وكانت لحيته أطول.

اقترب خريستو منها، وطوقها بذراعيه، ثم أدارها ويده على معصمها، عندما واجه والده.

«هذه آيونا... المرأة التي ساجعلها زوجتي.» قال بتوتر. التقت نظراتهما، وشعرت آيونا بتصلب أصابعها. «إنها كل ما يتمناه الرجل... جميلة ومطيعة.» ارتجفت يدها وهي تصافح الرجل وأحست أن التوتر يمكن أن يثير التحدي وأن عليها أن تدقق في اختيار كلماتها، عندما توقف. لكنه بدأ يتكلم وكأنه كان بمفرده معها. «وإني أحبها كثيراً.» أحنى رأسه وطبع قبلة على خدها.

شعرت بالإهانة من كلمات الحب الفارغة. وكانت ضعيفة تمنعه من جرها إلى حيث كان يقف والده. «هل ترحب بها في بيتك؟»

تنقل نظرها بين الرجلين وهي مدركة أحاسيسهما العاصفة. نظرت إلى وجه ثيو فارانكسيس المتعجرف ولم تجفلها العينان القاسيتان اللتان كانتا تحدقان إليها. لو أنها لاحظت أن موافقتها على خطة خريستو ستضعها في

هذا الموقف المحرج لكانت اختارت أن تعود إلى انكلترا وتواجه أية مشكلة تنتظرها.

مهما كان والده قاسياً معه في الماضي، والآن بعد أن واجهت ثيو فارانكسيس وجهاً لوجه خجلت من دورها، وماذا عن كاليوبي؟ ألم يفكر خريستو كم ستحزن زوجة والده عندما يفسخا خطوبتهما؟ بللت شفتيها الجافتين بلسانها، ولم تستطع أن تجد الكلمات التي أرادت أن ترحب بها الجو. وأخيراً استجابت صلواتها، عندما تقدم ثيو منها، وأمسك يدها. «أنت فتاة جميلة وشجاعة. أرحب بك في بيتي، وفي عائلتي، وأتمنى أن يمنحك المستقبل، كل شيء تستحقينه.»

الفصل السادس

«والآن اعذرانا لبضع لحظات. لقد وصلت حقائب آيونا وأنا متأكد من أنها تريد أن تفرغ محتوياتها.» دس خريستو يده تحت ذراعها عندما تركها ثيو. «هيا، يا حبيبتي، سأحملها إلى غرفتك.»

قادها خريستو إلى الطابق العلوي وشعرت بالارتياح بعدما تخلصت من عناق ثيو الحار. دلته على غرفتها، فتحت الباب له وتبعته إلى الداخل وهو يضع حقيبتها على السرير.

«خريستو...» واجهته قبل أن تخونها شجاعتها. «إني آسفة، لكنني لا أعتقد بأنني أستطيع الاستمرار.» لوت يديها معاً بلا وعي، وهي تحاول أن تقاوم ردة فعله، وعيناها تتفحصان تعابير وجهه الغامضة، ولم تجد شيئاً تستطيع أن توازن به شعورها. «لم أشعر بأنني مخادعة لهذه الدرجة، طوال حياتي.»

«لقد وافقت.» قال بصوت ناعم.

«نعم!» لكن تحت التهديد ولم أتصور أن الأمر سيكون كهذا. قبلت عرضك على أساس أن أحضر معك كصديقة، على وشك الزواج بها، لتقنع والدك بأنك على وشك أن تستقر، وتجعله يتخذ موقفاً ودياً منك، لكنني لم أتوقع أن تقوم زوجته باعداد بعض الترتيبات للاحتفال بزواجنا، أو حتى أنك ستتصالح معهم بهدوء!»

«هل أنت خائفة من أن تستيقظي يوماً ما، وتجدي نفسك تسيرين بين كراسي الكنيسة إلى جانبي؟»

«إنني لا أمزح.» قالت بحدة وهي تقف بلا حراك على بعد بضع أقدام منه وكأن قوة ما في عينيه جمدتها، وجعلها اقتراحه تستغرق في تفكير عميق.

«وأنا أيضاً يا آيونا.» زم شفتيه القاسيتين وقضى على أملها في الليونة. «يجب أن تلاحظي كم سيكون الوضع مؤلماً لهما إذا حررناهما من وهمهما بسرعة، سنطلعهما على فسخ الخطوبة وعلى تلاشي الحب عندما يحين الوقت الملائم. أما الآن فسنستمر في لعبتنا.»

تعمد عدم مساعدتها، ولم يرد أن يظهر لها أي تفهم أو تعاطف. تلألأت عيناها ببريق الغضب للحظة، عندما استقرتا على تعبير وجهه المشدود.

«ومتى سيحين الوقت الملائم؟» رفعت ذقنها الصغير بتحد. «عندما تصبح الحقيقة أقل أهمية؟ لقد بالغت في تصوير عدائية والدك تجاهك. لاحظت أنه بدا مسروراً جداً برؤيتك من جديد.»

«لأنه يعتبرك خلاصي! لأنه يعتقد بأنني أحقق رغبته، وبأنني اخترت امرأة جميلة عاطفية، ومستعدة لأن تعيش مع ما فيه!»

رفع حاجبيه الداكنتين بفارغ صبر. «لقد قلت لك سابقاً، إنني أحاول أن أكسب بعض الوقت، وقت لأشارك بلفادير معه كضيف مرحب به، ولبناء علاقة متينة بيننا، لا تعتمد على أي شخص، أو أي شيء آخر. إذا تخليت عني الآن ستدمرين كل صلة بدأت تتشكل بيننا!»

«لا يهم إذا كنت أشعر بالحزن في الوقت الحاضر؟»

أدرك تعبيرها الدائم الشكوى بسرعة، وعيناه تخترقانها كشعاع اللايزر. «آخر ما أحتاجه الآن هو أن أراك حزينة سيعتقد والدي بأنني أسيء معاملتك.»

«وسيكون الحق معه.» قالت بسخرية.

رفع خريستو حاجبه استنكاراً. «لن ترحلي من هنا فارغة اليدين، أو من دون عمل.»

«هل تعتقد أن هذا كل ما يهمني؟» شعرت بالإهانة من اقتراحه. إن الحب يشترى ويباع... لم يعلق خريستو على مظهرها بوضوح. كان سيسهل عليها الأمر لو أنه أعجب بها أيضاً!

«ليس بالضرورة.» قال برقة. أدركت آيونا نبرة التهديد الكامنة وراء كلماته البسيطة وابتعدت عنه خطوتين: «ربما تريدين مكافأة بعملة مختلفة؟»

«خريستو، لا!» كان هدفه واضحاً، حاولت أن تتجنبه لكنه، طوقها بذراعيه بحركة واحدة سريعة وشدها إليه. لم تشعر كهذا مع أي رجل آخر، حتى مع فيليب.

فيليب! هذا هو الجواب. كان فسخ علاقته بها، وراء هذه الحلقة الغريبة في حياتها. ليس لأن خريستو عني لها شيئاً بل لأنه ملأ الفجوة الفارغة في حياتها. حقيقة أنه يمثل كل شيء افتقدته في فيليب، ليست لها أية علاقة بما يحصل الآن. أليس كذلك؟

لاحظت أنها توقفت عن مقاومته عندما كسر صوت خريستو الأجش الصمت وأن ذراعيها مطبقتان على كتفيه وأصابعها تداعب شعره الكثيف الأسود وتلامس بعض

خصلاته المرنة واللامعة. توردت وجنتاها بغضب. لقد أكدت رأيه الأسوأ فيها. هل ستجرؤ على الاعتراف بالحقيقة؟ إنها كانت تفكر في فيليب، وتحاول أن تقيم علاقتهما؟ إنها تجاوبت معه لأنها كانت شاردة الذهن؟

أبعدت يديها عنه بسرعة، وحررته من قبضتها، ارتجفت وخجلت من تصرفها، لأنها عرفت أنه سيسيء فهم ما حصل، وتظاهرت بترتيب شعرها، عندما تفحص وجهها المرتبك.

«يبدو أن هذه هي اللحظة الملائمة لأقدم لك هذا.» قال بلطف وهو يريها الخاتم الذهبي. «أصر أبي على أن آخذه في اللحظة التي دخلنا فيها إلى البيت قبل أن يتعرف إليك. يجب أن يقنعك هذا وحده بأهمية خطوبتنا.»

أخذ يدها الواهنة وشبك الخاتم المرصع بأحجار كريمة في اصبعها. فتحت فمها بذهول مرعب. «كان ملك والدتي. أهداها إياه عندما ولدت.» داعب الخاتم بطرف ابهامه. «بامكانك أن تتخيلي كم سيشعر بالإهانة إذا رفضت أن تلبسيه.»

«يا إلهي!» ارتجف صوتها وهي تحدق إلى الجوهرة، ولاحظت كم أساء هذا الشرف الذي فرض عليها، إلى ورطتها. «ماذا سأفعل؟»

«ضعيه في اصبعك، بالطبع، إلا إذا كنت من دون رحمة.» تحدى معارضتها.

«لا أستطيع!» اضطرب صوتها. «هذا تدنيس. لن تسامحني والدتك أبداً!»

«والدتي متوفية يا آيونا.» أمسك يدها اليمنى ليمنعها

من سحب الخاتم. «لن يسعدها شيء آخر أكثر من أن ترى زوجتي المقبلة العنيدة تحمله.»

«زوجتك المقبلة العنيدة، ربما... ولكنني لست هي.»

«ولكن ممكن حصوله وما أدراك؟»

سرى الخوف في جسدها، عندما استوعبت كلامه بتوتر شديد. بدا وكأنه يحدق إلى صميم قلبها، وكأن كلماته اخترقتها. هل هذا هو طعم الخوف؟ هذه المرارة في فمها؟ أضاف قائلاً: «وما أدراك أيونا؟ ربما ستحل كل مشكلاتنا.»

«مشكلاتك ربما.» قالت بتوتر. «ليس لدي أية مشكلات.»

بدت عيناه كسوط وشعرت أنها على وشك أن يغمى عليها. «لا عائلة... لا حبيب... ولقد اعترفت لي، أن بيتك سيحتله شخص آخر، تاركاً إياك وحيدة؟»

كيف يمكنها أن تنكر ما اعترفت به؟ ثبتت نظرها على ملامح وجه خريستو القاسية وهزت رأسها بيأس. فيما تابع: «بإمكاني أن أضمن لك ولأولادك مستقبلاً ناجحاً وآمناً.»

«أولاد؟» فكرت بيأس، وكأنها تسبح باتجاه تيار قوي، وتدفق الدم تحت بشرتها، تجاوباً مع فكرة كونها أم أولاده.

تشكل خط عميق بين حاجبيه الداكنين. «ألا تريدين أن تنجبي أولاداً؟»

«نعم، لا...» تلعثمت. «إلا إذا كان والدهم الرجل الذي أحب.»

«فيليب!» نطق اسمه بسرعة. «أنسه، لقد أصبح من الماضي!»

دهشت لأنه تذكر اسم خطيبها مع أنها لم تذكره أكثر من

مرة، ترددت. ماذا ستستفيد إذا اعترفت له أن موقفها من فيليب قد تغير تماماً منذ أن استلمت رسالته؟ وبدل أن يتحطم قلبها، وبعد أن تغلبت على صدمتها الأولى، بدأت تشعر بالارتياح من انفصالهما. لقد ارتكزت علاقتهما على أمور سطحية، من دون أية عاطفة. اتفاقية مريحة وملائمة تفتقر إلى وهج لهاب. لقد أخذت تتكيف مع هذه الحقيقة المؤلمة تدريجياً.

لن تعترف لخريستو فارانكسيس بذلك أبداً. والأفضل أن تدع هذا اليوناني المتعجرف والمستبد يظن أنها ما تزال تحب فيليب، بدل أن يدرك مشاعرها المتضاربة من حب وكراهية التي يحركها هو بنفسه في داخلها. ولاحظت بألم، أن خريستو كان مسؤولاً جزئياً عن قبولها بخروج فيليب السريع من مستقبلها. حضور خريستو المميز في حياتها، لمسته، اهتمامه، رجولته، بيته الذي يحيط به الغموض والحزن... ساعدت جميعها على كشف عواطفها الدفينة والتي لم تعرف قط أنها تمتلكها. هزت كتفيها، بعد أن أدركت أنه ما يزال يحدق إليها.

«هل تعتقد بأنني سأقبل عرضك، بمجرد أن أحصل على بيت يأويني؟ وماذا عنك يا خريستو؟ هل تريد حقاً، أن تتزوج امرأة تعرفت إليها في حانة؟» تعمدت أن يبدو صوتها ناعماً

وثرتها ابتسامته الساخرة. «لا يمكنني الاختيار بدقة.»

«إذاً فتياتك كثيرات؟» هزت كتفيها وقررت أن تتجاهل سخريته. «أنت دائماً تتحدث عن ماضيك، وأنا أعتقد بأن معظم الرجال في سنك والذين لم يستقروا بعد، لديهم تاريخ

حافل بالمغامرات العاطفية. إذا وقعت امرأة في حبك ستغفل عن أخطائك مهما كانت شنيعة.»

«حتى الخطأ الذي أدى إلى سجني؟» صدمها سؤاله القاسي للحظة؟

«سجن؟» ارتجف صوتها عندما استوعبت الكلمة. «هل كنت في السجن؟»

«ثلاث سنوات.» أكد لها ذلك. بوجه خالٍ من أي تعبير.

«ولكن لماذا؟ ماذا فعلت؟» امتزج صوتها بالخوف والشفقة وتقلص حلقها من هذا البوح غير المتوقع.

لم يجد خريستو الأمر سهلاً أيضاً. انتظرته حتى يجد الكلمات المناسبة وهي تحدق إلى عضلات وجنتيه المتوترة. احتيال... اختلاس؟ شمالة؟ التهرب من دفع الضرائب؟ ما نوع الجريمة التي يمكن أن يقترفها رجل بمركز خريستو؟ بدت كل افتراضاتها غير معقولة. كان من المستحيل أن تتخيله يقوم بعمل مشين، أحمق، أو مخزٍ...

«ماذا فعلت؟» ضحك من شدة الألم. «سأكون صريحاً معك. كنت مسؤولاً عن وفاة رجل.»

«جريمة قتل؟» اعتقدت بأن قلبها سيتوقف عن الخفقان. أسندت يدها على حافة طاولة صغيرة.

«لم تكن متعمدة...» بدت بشرته الداكنة تحت لحيته السوداء تأخذ لوناً رمادياً شاحباً.

«لكن من... لماذا... كيف؟» كانت تفكر بفداحة ما قاله، ولم تعد مسيطرة على تفكيرها.

«من؟ رجل غريب، سائح ثمل. لماذا تسألين...؟» كان وجهه حزيناً، والتمعت عيناه، وكأنه لن ينسى ما حصل أبداً.

«لأنه كان مزعجاً والليل التهذيب. كيف؟» نظر إلى يديه، رلعهما قليلاً ثم حدق إليهما كأنهما ينتميان إلى غريب. «يقولون إنه توفي نتيجة لكمات قوية على الرأس، كان ثملاً، ولم يتمكن من الدفاع عن نفسه، كانت المباراة إذا جاز التعبير، من جهة واحدة.»

«يا إلهي!» كانت صلاة وليس قسماً، عندما همست آيونا.

بلعت ريقها لترخي عضلات حلقها المتقلصة، وهي تحاول أن تستجمع أفكارها. الآن بدأت تفهم موقف ثيو فارادكسيس من خريستو. الخوف والمرارة اللذان أبعدانه عن بلفادير. لقد رأى ثيو فارادكسيس ابنه البكر، وريثه الجميل والقوي يخرق إحدى قوانين الله والمجتمع. ولقد رأى العار يثبت على باب فارادكسيس من خلال الجريمة والعقاب واعتقد بأن أحلامه في رؤية حفيده وهو يلعب في حديقة بلفادير قد تحطمت إلى الأبد. إلا إذا كان هناك امرأة في مكان ما، تستطيع أن تكشف الجانب الآخر من شخصيته، وهذا ما سيمكنها من أن تحبه وتثق به... وتتزوجه.

هذه الصفات موجودة: عرفت آيونا ذلك غرائزياً. وعرفته بعمق لدرجة أن اعترافه ما يزال يرن في أذنيها، وكانت تجد صعوبة في تصديقه.

«هل ذلك يثير اشمئزازك؟» كان يراقب ردة فعلها بدقة، وبدا تعبيره حزيناً. «الآن ستفهمين لماذا أردت أن أؤجل هذه اللحظة، وأن أرى الخوف والرعب في عينيك، بدل الوميض الساخر والضحك... وربما الصداقة؟»

أثر صوته فيها وأيقظ هاجساً ساكناً في داخلها. تدفقت ذكريات تجولهما في المدينة إلى ذهنها، الطريقة التي كان

يحدق بها القرويون إليه، وكأنه زائر من كوكب آخر. ثم افترضت أنه أثار فضولهم فقط. الآن عرفت أن هناك سبباً أعمق وأهم وراء نظراتهم.

«أنا...» حاولت أن ترد عليه، لكن صوتها لم يسعفها على القيام بهذه المهمة، وحاولت أن تسيطر على حنجرتها، وهي مدركة أنها لم تشعر سوى بالدهشة، وليس بالاشمئزاز. ولم تشك في أن خريستو قادر على أن يغضب ولكن ليس بالوحشية التي وصفها؟ شحب لونها، وهي تتذكر الطريقة التي وبخته بها في آل غريكو واتهمته بأنه كان ينوي أن يضرب ماتوليس... واصراره على الانكار.

وهناك تأكيده وهما في طريقهما إلى بلفادير... أنه لن يؤذي شعرة من رأسها أبداً. لقد أدركت معنى جملته الآن. ولقد صدقته. هذا أغرب شيء حصل لها. لم تصدق فقط أنها لن تعاني من عنفه وهي بين يديه ولكنها صدقت أيضاً أنه لا يمكن أن يكون متورطاً في جريمة كهذه، أو على الأقل، ليس في تلك الظروف البسيطة التي وصفها لها. لا بد أن هناك المزيد مما لم يخبرها إياه.

«لا بأس، آيونا.» كان صوته قاسياً، ولكنه بدا متعجرفاً وشجاعاً، كابليس نفسه، وهو يقبل إدانته المستحقة. «إني أفهم شعورك.» فتح يديه من دون أي تعبير. «لقد رتبت سريري وكما يقول المثل، عليّ أن أستلقي عليه بمفردي، إلا إذا كان هناك امرأة في مكان ما، لا تعكس عيناها الاشمئزاز، ولا يرتعد جسدها من الخوف، عندما أعانقها، ولا يجف فمها عندما ألثمها.»

تقدمت منه تلقائياً، وشدها إليه الحزن المحفور على وجهه، وشعورها بالتعاطف معه. «ستجد هذا الشخص... شخص كما تمناه ثير أن يكون... شخص مثلها... استغرقت في تفكير عميق. لمست ذراعه وهي تدفعه إلى التفاؤل. «صدقني يا خريستو!»

«هل باستطاعتك أن تحبي شخصاً بهذه الصفات؟ هل تمنحين ذلك؟ هل تتأكد إذا كنت ما تزالين تتجاوبين معي، كما كنت من قبل؟»

طفت المرارة على لسانه وهو يضمها بين ذراعيه ويعانقها ويبعث الدفء في عروقها.

كان امتحاناً عسيراً، وكان عليها أن ترفضه، ومع ذلك أصبحت ضحية راغبة، تتجاوب معه وكأنها في حلم مبهج.

وخزتها ذكرى اعترافه كورم خبيث. ومع ذلك لم تكن حاجتها لتدين، بل لتريح ولتغفر له، لأنه لا يستطيع أن يغفر لنفسه. هي التي اعتقدت بحماس، بأن الحياة كانت مقدسة. لم تشعر سوى بالشفقة على هذا الرجل المعذب الذي لجأ إليها هرباً من معاناته. رفعت يديها، وشبكتهما في شعره الأسود الجميل، تريد أن تريحه وتبعده عن المتاعب التي لازمته... تريد أن تحبه... الحب! صدمها اعترافها، وذهلت من السرعة التي حدثت بها الأمور.

لا يمكن أن يكون هذا صحيحاً، هل يمكن؟ هذا الحنان المربك الذي شعرت به نحوه قد يكون الحب الأمومي الذي سخر منه في آل غريكو. ومع ذلك لم يكن تجاوب خريستو طفولياً! كان من المستحيل ألا تدرك رغباته الحقيقية! ومستحيل أن تتجاهل ما كان يحدث لها عندما تشعر بقربه.

توترت آيونا بين ذراعيه بعد أن أدركت أنها لم تعد مسيطرة على الوضع وحاولت بأنه تصلّب عضلاتها دفاعاً عن النفس وذكرت نفسها، أنه لا يحبها على الرغم من انجذابه الواضح نحوها. لقد أوضح لها في لقائهما الأول، أنه لا يعتبرها أكثر من وسيلة، وأن عرض زواجه لم يكن أكثر من محاولة سافرة لكسب ثقة والده.

أطلق خريستو سراحها بكسل. ارتاحت من حدة عناقهما الطويل وبدت خطوط فمه أنعم وأكبر من ذي قبل.

«هل فهمت؟» سأل بتوتر وهو يحررها من قبضته. «لقد أثرت اشمئزازك!»

«لا، هذا ليس صحيحاً.» أنكرت ذلك وهي تحاول أن تسيطر على لهاثها. «لقد فاجأتني، هذا كل ما في الأمر. إنها صدمة بالطبع...»

بماذا يجب أن تشعر؟ بالرعب؟ بالخوف؟ بالاشمئزاز؟ بالغضب؟ ربما كل هذه الأشياء، ومع ذلك شعرت بالهدوء وبالتعاطف معه، لأنه أمضى ثلاث سنوات في السجن.

كان رجلاً متعجرفاً، ولكنه يمتاز بالحساسية والرقة. مهما كان الطريق الذي أودى به إلى هذا المصير مظلماً، عليه أن يعبره من دون أن يلتفت إلى الوراء. كانت واثقة من ذلك. قبلت ندمه الشديد، كواقع مقرّر من دون برهان، أو عذر أو حتى تفسير.

ارتجفت وهي تتخيل عذاب الضمير الذي تحمله في السجن. ويا للعجب، لأنه اختار أن يعمل في الهواء الطلق، ليرهق نفسه في عمل جسدي شاق، وليستمتع بحرية التحرك، التي يجب أن يوفرها العمل في البناء.

«ليس من الضرورة أن تتظاهري يا آيونا.» اخترق صوته أفكارها. «ولكنك عرفت الآن حقيقة غيابي عن بلفادير الذي دام ثلاث سنوات. سنة انتظرت فيها المحاكمة، ثلاث سنوات في السجن وسنتان أمضيتها وأنا أحاول أن أتكيف مع نتائج فعلتي.»

«فهمت.» أطلقت ضحكة خفيفة وهي مستعدة لأن تجرح كبرياءها. «فهمت لماذا اعتبرت ورطتي بمثابة استجابة لصلواتك. لو كانت طبيعتي شكوكية، لكنت شككت في أنك تعمدت إشراكي في اللعبة منذ اللحظة التي رأيتني فيها.»

«أنت مخطئة!» حدق إليها وبدا صوته أجش. «لقد راودتني فكرة واحدة تلك الليلة عندما طوقتك بذراعي. هناك عدة طرق لوصف ما شعرت به... بعض الطرق الشعرية.»

«خريستو... أرجوك، لا تفعل!» توردت وجنتاها وهي تحتج. «أعرف كيف شعرت.» لا تريد أن تسمع المزيد من وصفه لتصرفها.

«لا أعتقد ذلك.» قال بنعومة: «هناك بيت من الشعر اليوناني معروف كثيراً في الجزر ويصف تماماً ما شعرت به.» أمرتها عيناه الزرقاوان بالاستماع إليه. «عندما اقتربت مني وعرّفت عن نفسك ونظرت إليك، تذكرت كلمات تلك الأبيات.»

شفتاك سكر، خدك تفاحة
عيناك جنة وقوامك زنبقة
ما أطيب طعم السكر، وملمس التفاحة
ورؤية الجنة ورائحة الزنبقة

أحدثت كلماته المثيرة صدى في الغرفة الهادئة عندما

توقف. «هذا ما شعرت به عندما نظرت إليك. وهذا ما أردته عندما أصبحنا لوحدنا في غرفتك.»

«خريستو...»

همست باسمه باحراج وقلبها يخفق بسرعة جنونية. تجاهل مقاطعتها، واستمر في كلامه: «وهذا ما شعرت به ذلك الصباح، عندما عدت إلى آل غريكو، لأعبر لك عن رغبتي في رؤيتك مرة ثانية، عندما أعود من كافوس بعد مأتم عزابي... ووجدتك مستعدة للرحيل.»

«خريستو...» همست باسمه مرة ثانية وهي مدركة جفاف شفتيها الدافئتين، وخائفة من أن تلمسهما بلسانها لأن عينيه كانتا مثبتتين عليهما.

«وهذا ما أشعر به الآن.» بدا صوته ضعيفاً ومتوتراً. «ولهذا أردتك أن تعرفي كل شيء عني، مع أنني أجازف بجعلك تنفرين مني نهائياً.»

«كانت صدمة... لا تصدق...» كانت هذه الحقيقة، إذا لم تكن كامل الحقيقة يجب أن يبقى حبها سراً وإلا ستجد نفسها في ورطة ثانية، مرغوبة لكن غير محترمة، محبة لكن غير محبوبة.

«امنحيني أسبوعين يا آيونا، مهما كانت مشاعرك تجاهي. هذا كل ما أطلبه. من أجل ثيو وكاليوبي.» اخترق صوته العميق والثابت أذنيها. «لقد أذيتهما كفاية. أعطني الفرصة حتى أرتب الأمور من دون أن أؤذيهما مرة ثانية. ضعي الخاتم واستمري في خداعهما لمدة أسبوعين فقط.»

أسبوعان ستمضيهما معه، تتظاهر بحب بدأ يصبح

حقيقة، بينما يؤدي دور الحبيب، بدل أن يكون الانتهازي. كيف ستتحمل ذلك؟

«وبعد الأسبوعين، ماذا سيحصل؟»

هز كتفيه. «سأجد لك عملاً مناسباً في إحدى الجزر وسنفكر في سبب مقبول ننهي به خطوبتنا. سبب سيتقبله ثيو وكاليوبي بحزن لكن بتفهم. عندما يحين الوقت المناسب سنقدم لهما تفسيراً معقولاً. إني أضمن ذلك.»

لم يكن أي شيء مضموناً، لكن هذا كل ما كان باستطاعته أن يقوله في تلك اللحظة. ومع ذلك ترددت قبل أن تربط نفسها.

«طالما أنهما لم يقوما بأي ترتيبات تختص بالزواج بعد. لا أريد أن أخيب آمالهما.»

«لا؟» سأل باقتضاب. «أفضل طريقة تستطيعين بها تجنب ذلك هو أن توافقي على الزواج مني. وأعتقد أننا تفاهمنا على أن ذلك غير واقعي في الظروف الحاضرة.»

«غير واقعي تماماً.» أكدت له وهي مدركة، أنه سيسيء فهم تفسيرها، وسيعتقد أن الظروف تتعلق بماضيه، وليس لأنه لا يحبها.

اعتصر الألم قلبها وراقبته وهو يلوي فمه العريض.

«أخبريني كم يلزمني من المال حتى أتخطى اشمئزاز أية امرأة من جريمتي؟»

«هل تتوقع مني أن أكون الناطقة باسم بنات جنسي؟» تألمت من جملته الساخرة. كان بامكانه أن يوضح رأيه فيها أكثر. كانت في نظره امرأة، يحدد المال مدى استقامتها.

«إني أقصدك أنت.» ضاقت عيناه.

سرى الغضب والتوتر في عروقها.

«إذا أحببتك، بإمكانك أن تشتريني بوردة واحدة!»

أبعد نظره عنها ليحدق إلى الإناء المثبت قرب سريرها قبل أن يخطو باتجاه الباب.

«لنأمل أن يكون الرجل الذي ستمنحينه قلبك بستانياً ناجحاً.» استدار ووضع يده على مقبض الباب. «سأتركك في سلام لتفرغي محتويات «حقائبك.»

«لا أحتاج إلى أكثر من بضع دقائق. أين سأجدك... في الباحة؟»

«من دون شك.» تفحصها خريستو وعيناه تلمعان ببريق غامض. «ذهبت فردريكا لتزور أهلها، ولتحضر الأولاد بعد المأتم؛ ولقد لحق بها ميكوس. سيكونون قد رجعوا عندما تنضمين إلينا.»

كانت ممتنة لتحذيره مع أنها لم تنو أن تشكره. كل ما قام به منذ لقائهما الأول حتى الآن كان لمنفعته الشخصية.

«لا تقلق.» قالت بفتور. «سأؤدي دور العاشقة غومينا جيداً.» رمقها بنظرة استياء.

«احسني اختيار كلماتك.» ضحك. «لقد خذلتك معرفتك باليونانية أخيراً. غومينا امرأة يسهل اقناعها، لتشاركك سرير رجل. مومس. هذا ما يقوله الانكليز.»

«ولهذا استعملتها يا خريستو.» قالت برقة. «ألم تعتبرني تلك دائماً؟» تدفق الدم إلى وجهه قبل أن يخرج من الغرفة من دون أن يتفوه بكلمة أخرى.

الفصل السابع

لم يتطلب منها الأمر أكثر من بضع دقائق لتفرغ حقائبها وتعلق ثيابها في الخزانة بمهارة بينما كان عقلها يفكر باعتراف خريستو، بدأ بالسنوات الست الأخيرة من حياته حتى عرضه الزواج.

توقفت ونظرت إلى الخاتم الرائع الذي يحيط باصبعها، وهي مدركة أن قيمته المعنوية قد تفوقت على قيمته المادية، لو كانت مشاعرها أقل ارتباكاً تجاه خريستو، تمنت بيأس. لو أن نظرته لم تحرقها بقوة لمسته نفسها! من السهل أن تهزأ بالحب من أول نظرة وتسخر من روميو وجولييت. ومع ذلك ألم تتحد صوفيا عائلتها وحضارتها، بالزواج من رجل انكليزي وسيم في غضون أسابيع من لقائهما. أو لم يدر ثيو فارادكسيس رأس عروسه الانكليزية في غضون أيام؟

ربما هذه الميول العاطفية وراثية، وبثت نفسها. في هذه الحالة ربما يحمل نسبها ونسب خريستو هذه الجينات المتمردة! برغم أن خريستو لم يتظاهر بحبها، أراد أن يملأ ثغرة في حياته، حينما إدراكه الحسي للمستقبل. ربما إذا أظهر بعض الاهتمام بها كشخص... كامرأة... هل كانت ستأخذ تصرفه بعين الاعتبار؟ كان الجواب نعم، أغمضت عينيها بخوف، وسمعته ينطق بكلمات الحب اليونانية البسيطة، والمثيرة في مخيلتها،

وشعرت بالدفء يسري في جسمها من رأسها حتى اخمص قدميها.

هذا لن ينفع أبداً. ألقت نظرة سريعة على ساعتها وعرفت أن خريستو تركها منذ نصف ساعة. من الأفضل لها ألا تتلكأ في ارتداء ملابسها، وخاصة أنها ستلتقي ببقية أفراد العائلة. فركت يديها بسرعة، وتأكدت من مظهرها قبل أن تترك الغرفة. لقد عقدت صفقة مع خريستو، وكانت مستعدة لأن تلتزم بها على الرغم من شكوكها.

«إحزر من أنا! إحزر من أنا!»

رأت آيونا فتاة صغيرة تحث الخطى باتجاه خريستو قبل أن تستطيع التحرك من تحت ظل السقف، الذي حجب خلفية البيت عن أشعة الشمس القوية.

وضع كأسه على الطاولة، ووقف عندما أسرعت الفتاة نحوه. ابتسمت له الصغيرة التي يتراوح عمرها بين الخمس والست سنوات تطلب جواباً. كانت جميلة، تدلّى شعرها الأسود بحرية حول وجهها الموسوم بملامح آل فارانكسيس المتعجرفة. ولكن لفت انتباهها تعبير خريستو الغامض، مزيج من الأحاسيس المتناقضة، عندما استعدت الفتاة لمعانقته.

«إكزاني.» همس بهدوء واستطاعت آيونا أن تحدد الإسم فقط عندما هزت الفتاة رأسها بقوة. كرر اسمها بذهول. «بعد كل هذا الوقت... إكزاني!»

أشفقت آيونا عليه وهو يحمل إبنة أخيه بحنان يمنحه جميع اليونانيين إلى صغارهم. راقبت آيونا المشهد الصغير. والطفلة تعانقه بفرح.

«أخبرتني والدتي أنك ستكون هنا ولذلك ركضت طوال الطريق حتى أستطيع أن أراك أولاً! والدتي تمشي لأن ريتا نائمة وبحاجة إلى من يحملها. لماذا لم تأت إلى رؤيتنا من قبل يا عمي خريستو؟»

«لأنني كنت مسافراً.» قال بسرعة.

«لكن كان بامكانك أن تستقل الطائرة كما فعل أبي لاحضارنا من أثينا قبل أن يأتي بنا القمركب إلى هنا.» احتجت إكزاني وهي تضع يدها الصغيرة على خد خريستو. «كان لدى أبي شعر كثيف على وجهه أيضاً. ولكنه تخلص منه قبل أن نأتي إلى هنا.»

«لم تحب والدتك اللحى أبداً.» أخبرها خريستو وهو يبتسم لها. «سيصبح وجهي نظيفاً كوجه والدك غداً... إني أعدك.»

«هل سترحل من جديد؟»

«سأحاول ألا أفعل ذلك يا إكزاني...» لم يعد نظره مثبتاً على الطفلة لأن شخصاً آخر قد وصل. نحيفة وفاتنة. تحركت بتأنق وشعرها الأسود معقود إلى الوراء تتدلى منه بعض الخصل على ظهرها. التمعت عيناها الداكنتان البريئتان مثل صفاء المغنوليا، وكشفت ابتسامتها العريضة عن أسنان رائعة، عندما اقتربت من خريستو وإكزاني.

«فردريكا!» عرفت آيونا هذه الغريبة الجميلة في فستانها الحريري البسيط، قبل أن ينطق خريستو باسمها. لم تتوقع تلك النظرة الودية التي تبادلها خريستو مع زوجة أخيه وهي تتقدم منه لتطبع قبلة على خده.

يا إلهي! لا بد أنها مجنونة! هل يفعل الحب ذلك؟ غيرة من

دون سبب؟ لكن هناك سبب. لقد أحس كل عصب فيها بما حدث بينها وبين خريستو ولاحظت أن الجو كان مثقلاً بالتوتر لدرجة أنها شعرت بالاحراج يتملكها.

ترددت في الهرب إلى غرفتها. كانت غبية لأنها لم تدرك ذلك منذ البداية. لن يخرج ميكوس وزوجته من الفضيحة التي سببها، سالمين.

«لقد أخبرني ميكوس انك خطبت.» كان صوت فردريكا ناعماً ولطيفاً كمظهرها. «نحن سعيدان لك..»

«وأنت فردريكا... هل أنت سعيدة؟» كان وراء سؤاله مغزى مهم، أو هل كانت تتخيل ذلك؟ ارتجفت آيونا على الرغم من حرارة الجو. كانت متأكدة من شيء واحد. لم ينظر خريستو إليها قط بالاهتمام نفسه. شعرت أنها امرأة جذابة غير محترمة في هذه اللحظة. هذا هو البرهان على حبه لها.

استطاعت أن ترى ابتسامة الفتاة اليونانية المشرقة، حتى من المكان الذي كانت تقف فيه، تراقب بصمت اللوحة الصغيرة. «الآن بعد أن عدت إلى بلفادير حيث تنتمي... اكتملت سعادتي.»

ربما لأنها عرفت الكثير عن ماضي خريستو الأسود أو لأنها لم تكن معتادة على نوع كهذا من اللقاءات العائلية، فان آيونا خبأت الكلمات الهادئة الممجوجة أكثر مما أظهرت.

«وكيف حال أخي؟ لقد ترك المأتم بسرعة ليحضرك أنت والأولاد ولم يتسن لنا الوقت للتحدث بحرية.» كان خريستو مهتماً بفردريكا كثيراً لدرجة أنه لم يلاحظ

وجودها بعد. ربما عليها أن تعود إلى غرفتها. فكرت آيونا بتوتر.

«ميكوس بخير، أفضل من ذي قبل. ليس لأنه نسي ما حدث...» نظرت إلى وجه إكزاني الصغير وفكرت بطريقة أفضل تنهي بها جملتها. «ميكوس بخير.» كررت بتوتر. «لقد غفت رينا بين ذراعيّ وهي ليست بخفيفة مع أنها ما تزال في الثالثة من عمرها ولذلك أخذ عني هذا الحمل وترك لي الحرية لآتي بسرعة وأرحب بعودتك إلى البيت.»

«لقد وصل أبي ورينا.» قالت إكزاني بفرح، وهي غير مدركة لما يحدث بين والدتها وخريستو. تركت يد خريستو وركضت عبر الساحة لتسلم على الرجل الذي بدأ يظهر للعيان وهو يحمل طفلة نائمة على كتفيه.

لاحظت آيونا الفرق بين الأخوين، عندما اقترب ميكوس فارادكسيس. بدا ميكوس أقصر قامة من أخيه، ومشيته أكثر ثقة ورأسه أقل انحناء.

«ميكوس!» تقدم خريستو منه ويده ممدودة. فكرت آيونا للحظة، أن الأخ الأصغر سيرفض عرض الصلح، عندما قابل نظرة أخيه الصادقة، ثم نظر بعيداً.

«دعني آخذ رينا عنك...» تدخلت فردريكا وحملت الطفلة بعيداً عن قبضة زوجها المسترخية. «حتى تتعانقا كما يجب أن يتعانق الأخوة.»

بدا كأنه أمر أكثر من اقتراح، وتجاوب الرجلان معها، بالتصافح على الطريقة التقليدية التي يتبعها سكان البحر الأبيض المتوسط.

* * *

كانت تبالغ في تصرفها، بالطبع. اعترفت آيونا سراً، وهي تجلس إلى طاولة بيضاوية الشكل، تتناول الغداء مع عائلة آل فارادكسيس. لقد أرهقت أحداث اليومين الأخيرين أعصابها من دون شك. وجعلتها تتخيل أموراً غريبة، كلما نظرت إلى خريستو.

بالطبع، قالت ذلك لنفسها بصمت لكن بحزم وهي تنظر إلى طبق الطعام المؤلف من البيض والخضر. سيتخيل أي لقاء بينه وبين فردريكا بعض الهمسات والنظرات السرية، بعد هذا الوقت الطويل، وفي هذه الظروف المعقدة يبقى التمتع بالأكل الشهي والشراب أفضل وسخرت من نفسها لتخيلاتها السخيفة.

بدا ميكوس مختلفاً بعد تلك المصافحة المقتضبة لأخيه وأظهر سحراً بإمكان خريستو أن يظهره عندما يحلو له، ولقد رحبوا بها باحترام عندما تجرأت أخيراً وانضمت إلى المجموعة في الباحة الرئيسية. وعبروا عن فرحتهم بخطوبة خريستو بصدق بينما رحب ميكوس بها بطريقة مرحة.

«يا إلهي.» كم شعرت بضيق، وهي تتلقى التهاني، ووجدت صعوبة في النظر إلى عيني خريستو وهو يضع ذراعه حول كتفيها ويشدها إليه كحبيب مناسب.

ولحسن حظها فسروا ارتباكها كخجل وليس كتحفظ. ولقد أولعت بها إكزاني بالتأكيد، وبشكل كاف، ورطبت ثرثرتها الطفولية، الجو المتوتر.

كانا طفلين رائعين. تقبلت آيونا طبق الحلوى الذي أعدته

كاليوبي على شرف هذا اللقاء العائلي، وتذكرت كيف كانت الصغيرتان تلعبان في الحديقة.

كانت رينا ذات الثلاث سنوات، طيعة ومستعدة، لأن تتبع خطى أختها الكبرى، ليس لأن إكزاني كانت فتاة متطلبة، بل لأن شخصيتها تدين بالكثير إلى نسبها الفارادكسي. كانت رقيقة مسلية وذكية، استمرت في طرح الأسئلة، عندما لم تكن تتحدث عن نفسها، وعن مدرستها، حتى شعرت آيونا أن عليها أن تعرف المزيد عن الطفلة، أكثر من عمها!

«هذا اسم جميل... إكزاني، لم أسمع به من قبل.»

ضحكت الطفلة بفرح. «اسمي الحقيقي بوليكزينا لأني ولدت منذ خمس سنوات في يوم عيدها، لكن الجميع يدعونني بإكزاني... ما عدا جدتي التي تناديني ببولي أحياناً!»

«وماذا عن أختك هل ولدت أيضاً في يوم عيد القديسة إيرينا؟»

هزت إكزاني رأسها بحماس. «لقد ولد أبي في يوم عيد القديس نيكولاس.»

من الواضح أنه تقليد عائلي، قررت آيونا وهي مدركة أن ذلك عادي في اليونان. كانت على وشك أن تسأل إذا كان العم خريستو يحمل اسم قديس أيضاً عندما أوقفها ميكوس وهو ينظر إليها من فوق رأس إكزاني، ويوثقها بابتسامته الجذابة.

«إذاً متى سيعقد الزواج، آيونا؟»

سرى الخوف في جسدها، ونظرت إلى خريستو تتوسله أن يساعدها.

«لم نحدد التاريخ بعد.» هب إلى نجدتها بهدوء تام. «والد آيونا موجود الآن في الولايات المتحدة ولم نتمكن من الاتصال به بعد. تريد أن تأخذ بركته قبل أن نحدد موعداً.» هز كتفيه العريضتين تحت قميصه الأبيض الرقيق. «في ما يتعلق بنا، كلما أسرعنا كلما كان ذلك أفضل.»

«ما رأيك لو أن نحدده في العشرين من الشهر المقبل؟» أحنت فردريكا رأسها إلى الأمام، وثبتت نظرها على وجه آيونا. «نحتفل أنا وميكوس بعيد زواجنا في ذلك التاريخ. بإمكاننا أن نقيم احتفالين!»

«ست سنوات من الزواج السعيد.» بدا ميكوس وكأن طيفاً مرّ فوق وجهه عندما نظر بعينيه الداكنتين إلى وجه زوجته الجميل ببطء. «ربما يفضل خريستو وآيونا شيئاً أكثر هدوءاً.»

«آيونا؟» وضع خريستو يده على يدها المثبتة بجانب طبقها بكسل، وابتسامة توبخها وهو يرفع حاجبيه يدعوها إلى إبداء رأيها، وكأنهم يناقشون حدثاً على وشك أن يحدث قريباً.

اللعنة عليه لعدم اهتمامه بمشاعرها! ولكنها وعدته أن تؤدي دورها على أكمل وجه، حتى يصبح مستعداً لاطلاق سراحها. ولذلك أجبرت نفسها على الابتسام، وهي مندهشة، لأنه قد تذكر بعض التفاصيل من حياتها المبكرة.

«إني لا أمانع. ما دمت أنت راض.» قالت ببساطة.

«إذاً سنتصل بوالدك في الوقت المحدد مهما كلف الأمر وسنعد احتفالاً مزدوجاً.» طالبتها عيناه الزرقاوان

بالموافقة على ادائه. هزت رأسها بكسل وقبلت قراره بصمت وهي تهنئه سراً على خطته المحكمة، والتي هدفت إلى انقاذها من هذا الموقف المحرج. خريستو الماكر! تفحصت وجهه المتعجرف، من تحت رموشها الكثيفة. كل ما كانت تتمناه هو عدم موافقة والدها على هذا الزواج وهكذا تستطيع أن تنسحب من هذا الارتباط كإبنة مطيعة تراعي شعور والدها.

ولن يصعب عليه صياغة سبباً فكرت بحزن. لا يرغب العديد من الرجال في مصاهرة مجرم! مع أن والدها لا يهتم كثيراً بما تفعله... ولكن هذا شيء لا يحتاج آل فارادكسيس إلى معرفته.

«رائع!» صرخ ثيو. سنستأجر أكبر حانة... لا، أكبر حانتين في كافوس وسندعو جميع أهالي الجزيرة... زواج يوناني لائق... طعام جيد وشراب مفتوح، موسيقى ورقص. وسندعو الجميع كي يعرفوا كم أن ثيو فارادكسيس فخور بولديه وبعروسيهما الجميلتين!»

كانت لحظة انتصار بالنسبة لخريستو، ولقد شاركته إياها، عندما أدرك سرور والده وهو يرفع كأسه الذي قدم إليه ليشرب نخب والده أولاً ثم أخيه قبل أن يفرغه برشفة واحدة. توقعت أن يحطمه على الأرض ولكنه اكتفى بوضعه على الطاولة بحذر. قبل أن يغير الموضوع، ليستفسر عن أحوال شركة فارادكسيس للبناء.

كان من الطبيعي، أن يرغب ثيو بمعرفة المزيد عنها وعن عائلتها. ولذلك سمح للأولاد بالانصراف، فاسترخى الكبار على الأرائك المريحة والناعمة عندما قدمت القهوة بينما

روت آيونا قصة صوفيا وحبها للشاب الانكليزي الذي اختارته لتتزوج منه، بدلاً من التاجر اليوناني الذي فضله والدها.

رفعت كتفيها ثم أرختهما بيأس. «منعها من الرجوع إلى كريت بعدما تحدت إرادته. ولقد أوضح لها جيداً بأنه لا يريد رؤيتها مرة ثانية مهما كانت الأسباب.»

«لا نتخلى عن بناتنا لغريب بسهولة.» استقرت عينا ثيو الداكنتين عليها بحنان. «ليس لأننا لا نثق برجال من عرق آخر بل لأننا نعرف أن بناتنا سيتخلين عن جنسياتهن اليونانية. المواقف تتغير لكننا بحاجة إلى مزيد من الوقت قبل أن نتكيف مع تقاليد الأوروبيين.»

«وماذا عن ابنائك؟» تحدته وهي مدركة أن خريستو لم يكف عن النظر إليها طوال السهرة. «هل الوضع يختلف معهما؟»

«بالطبع!» أجاب ثيو باقتضاب: «صحيح أن الفتيات الأجنبيات يحملن دماً جديداً إلى عرقنا، ولكنهن ينجبن أطفالاً يونانيين وهذا ما يهم. لقد عانى هذا البلد عبر التاريخ كثيراً، ولكنه استطاع أن يصمد بوجه المعتدين، إننا نؤمن بوحدة الهوية الوطنية.»

«أنت لا ترتابين في حسن ضيافة والدي بالتأكيد؟» سأل خريستو بلطف وهو يمد ذراعه على ظهر الأريكة. داعبت يده الثانية خدها قبل أن تشعر بأصابعه تضغط على أذنها. «بما أنه كان مستعداً أن يرى دمه يمتزج بدم غريب، لا يمكنه أن يعارض إن تبع ابنه خطاه.»

التمعت عينا ثيو بالتحدي. «كنت دائماً أرغب في أن يجد

خريستو عروساً تليق به! الخُلق وليس الجنسية... هو أساس الزواج الناجح.»

توقف للحظة وحدق إلى ابنه البكر. «كنت أصلي دائماً حتى يجد خريستو إمرأة تناسب مزاجه المتقلب، إمرأة جميلة وطيبة تستطيع إقناعه بالاستقرار في بلفادير، وامرأة تستطيع أن تتفهم ماضيه وتقدر ظروفه.»

وقف خريستو وبدا وجهه شاحباً في ضوء الغرفة الضعيف. «هل من الضروري أن نتحدث عن ذلك؟»

«ولم لا؟» تفحص ثيو وجهه بكآبة. «أرادت آيونا أن نؤكد لها ترحيبنا بها هنا. كنت أحاول أن أساعدها فقط. سنغير الموضوع إذا كان يزعجك. هل خططت لكيفية قضاء فترة بعد الظهر؟»

«في الواقع أود أن أزور شركة ثلاميوس. لقد أخبرني أريستيد، أن الأعمال مزدهرة على الرغم من فترة الركود التي يمر بها اقتصادنا.» نظر إلى آيونا: قرصان متنكر كرجل صادق وشريف.

«هل ترغبين في القيام بنزهة؟» سأل بنعومة وهو يمد يده لها ليساعدها على النهوض، وكأنه متأكد من إجابتها. لو كانا مخطوبين فعلاً ألن تفضل أن تمضي بقية النهار معه أكثر من أي مكان آخر؟

سمحت له أن يمسك راحة يدها وحاولت جاهدة أن تسيطر على ارتجافها، عندما شعرت بقوة يده على يدها وأحست بارتعاشة غير متوقعة ومحرجة.

«لن نذهب لمسافة طويلة.» تأملها ملياً عندما وصلا إلى الرواق الواسع. «بدوتِ وكأنك بحاجة إلى من ينقذك من هذا

الاستجواب. عائلتي فضولية كمعظم سكان المنطقة وخاصة في ما يختص بزواج وشيك.»

«ما زلت أشعر بالخوف حيال خداعهم.» اعترفت بصوت خفيض، وهو يقودها إلى الخارج.

«العلاج بين يديك.» ترك راحتي يديها بهزة من كتفيه للحظة ثم شبك أصابعه بأصابعها قبل أن تحاول سحب يدها. «مايزال عرض الزواج مفتوحاً. عليك أن تتأكدي من مكانتك هنا فقط... وستغيرين رأيك.»

لم ترد عليه وافترضت أنه لم يتوقعها أن تفعل ذلك لأنه التزم الصمت.

مشيا عبر المدينة من دون كلام، بعد أن تركا بلفادير. لم تتضايق آيونا من ذلك. سمحت لنفسها بالاسترخاء، فاستمتعت بأشعة الشمس وهي تلفح بشرتها الناعمة وبالعشب الطويل وهو يداعب قدميها. وبرائحة الأرض، عندما سحق صندالها بعض النبات تحت قدميها.

تفحصت الأزهار المتعددة الأشكال والألوان، والتي بدأت تصبح مألوفة لها كالتي في بلدها: نباتات شائكة، عملاقة، ارجوانية، أزهار المرغريتا الصفراء، وجذوع بعض النباتات الجافة والذابلة.

تعودت أذناها على إيقاع النسيم الممتزج بلهاثها، وهي تمشي فوق الأرض الجافة، وتحس عبير الهواء وهو يلفح لسانها. لقد أحبت هذه المناظر من البداية وبدت كأنها تمتلك سحراً جديداً، منذ أن دخل خريستو إلى حياتها.

ارتاحت آيونا عندما اقتربا من فناء المراكب الذي انشىء

ضمن منحدر صخري شاهق وانسجم تصميمه وضخامته مع الطبيعة التي تحيط به.

تجولت في المكان بعد أن تركها خريستو وذهب إلى مبنى صغير يضم المكاتب الرئيسية للشركة. تبدي اعجابها بهياكل المراكب الجميلة وتتبادل التحيات الودية مع بعض العمال.

«هل تسمحين لي أن أكون أول من يتمنى لك مستقبلاً سعيداً» استدارت آيونا عندما سمعت صوت أريستيد، حيته وهي تبتسم له بتهذيب.

«أخبرك خريستو.» قالت بهدوء.

«الجميع يعرف.» أكد أريستيد مخاوفها. «هذا شيء لا يمكن اخفاؤه في مكان كهذا مع أنني أفهم لماذا احتفظت بهذا السر حتى يرحب بخريستو في بلفادير.»

التمعت عيناه الداكنتان وهو يقيّم ردة فعلها. «إني مسرور لأنه يعيد بناء حياته. يكفي أنه هدر ثلاث سنوات من حياته بسبب قيامه بعمل شهم.»

«ماذا؟» لا بد أنها لم تسمعه جيداً.

«هب إلى مساعدة امرأة كان رجل سكير يعتدي عليها.» عبس. «اعتقدت بأنه أخبرك القصة بكاملها.»

«إمرأة؟ إمرأة متورطة في الموضوع؟» وثب قلبها من مكانه. «من كانت؟»

«لا أحد يعرف.» ابتسم أريستيد لها. «لم يكن هناك حاجة لكشف هويتها، لأن الحادث الأول حصل في حانة. والقتال حدث بعد ذلك بكثير في الغابة. لكن هكذا بدأت المتاعب... رجل اجنبي يعاكس فتاة يونانية.» رفع ذراعه، أحنى

مرفقه، وأدار يده وإبهامه ممدود إلى فوق وكأنه يحرك دوامة في الهواء. «بو، بو، بو!» كانت حركة يونانية النموذج، وكانت تستعملها صوفيا في بعض المناسبات لتعبّر عن شيء هام. «لم يتوقع أحد من خريستو أن يقف وقفة المتفرج. كانت مأساة. كان الرجل ضعيفاً وخريستو رجل قوي، ولقد دفع ثمن قوته غالياً.»

لا، إنه مخطىء، رفضت آيونا حكم أريستيد بصمت. لقد عُوقب خريستو ليس بسبب قوته بل بسبب افتقاره للسيطرة على استعمالها. سرى الخوف في جسدها ورافقه شعور آخر... عدم التصديق. كان خريستو الذي كانت تعرفه قادراً على كبح مشاعره، لكن ضمن حدود ولا يحاول أن يتخطاها أبداً. كان قوياً، جسدياً، وفكرياً، وباستطاعته أن يسيطر على قوته... إلا إذا... كانت تحاول أن تجد تفسيراً... لمرأة: كان خريستو يحمي امرأة وليس أي إمرأة يونانية، ولكن إمرأة أحبها كثيراً لدرجة أنه انتقم لها حتى الموت. الموت! للرجل الذي أهانها. لكنها لم تزعج نفسها حتى بالظهور في المحاكمة! لقد هجرته في الوقت الذي احتاجها فيه.

أعادها أريستيد إلى الواقع عندما سحق حجرة صغيرة تحت قدمه.

«أنت لا تلومه. أليس كذلك؟» سألت ببطء.

«لن أحكم عليه. لا أحد من الذين يعرفونه جيداً يتكلم ضده مثلك. مهما كانت حقيقة الأمر سنعرف فقط ما يريد خريستو أن نعرفه. المهم أنه عاد إلى بيته والأفضل من ذلك، عروسه.»

«شكراً لك.» حاولت آيونا أن تتظاهر بالسعادة. كم كان محظوظاً ذلك اليوناني المتعجرف الذي دمر حياتها، هذا الرجل الطيب على الرغم من كل الوقائع المريرة. عضت شفتها. أية وقائع؟ لا بد أن أريستيد شعر أن هناك شيئاً غامضاً يلف المأساة. من كانت المرأة التي ضحى ثلاث سنوات من عمره من أجلها؟ هل كانت محقة عندما افترضت انها امرأة أحبها كثيراً؟ أين هي الآن؟

لن تعرف أبداً إلا إذا كان خريستو مستعداً لأن يجيب على أسئلتها. وهل هو مضطر لأن يفعل ذلك؟ بإمكان إمرأة واحدة أن تطالبه بهذا الحق. المرأة التي ستصبح زوجته... هي؟

الفصل الثامن

مضى وقت طويل، قبل أن تجد آيونا مهرباً من أفكارها المضطربة التي أقضت مضجعها تلك الليلة. لقد حدث الكثير وبسرعة. قالت لنفسها وهي تحاول أن تحدد مشاعرها تجاه خريستو. ربما ستستطيع أن تعيد ربط الحقائق في غضون بضعة أيام. ستتمكن من ترك كافوس والبدء بحياة جديدة إذا وفى خريستو بوعده، من دون أن يعيقها حضوره القوي والمثير. ومن المفترض أن تريحها هذه الفكرة، لكنها شعرت بالحزن.

سُرّت عندما انتهت وجبة المساء، واستطاعت أن تلجأ إلى غرفتها معتذرة بالتعب الذي لم تضطر إلى التظاهر به. بدأ تأثرهم بموت ڤلاميوس يفرض نفسه على أحاديثهم المتقطعة، بعد أن خف حماسهم الذي أثاره خبر خطوبة خريستو، برغم أن كاليوبي لعبت دور المضيفة باتقان وبشجاعة.

بدا ميكوس شارد الذهن معظم الوقت بينما كانت عينا فردريكا الكبيرتان منتفختين من شدة التعب وبدا وجه خريستو شاحباً ودالكناً، وهو يجاهد ليتابع الحديث مع والده.

نامت آيونا جيداً واستيقظت لتجد الشمس تتسلل من خلال الستائر نصف المسدلة. اكتشفت أن الساعة قد تجاوزت السابعة والنصف. طرفت عيناها المنهكتان من بعض

الأحلام المزعجة التي راودتها بشكل متقطع خلال نومها. ولم تستطع أن تتذكر إلا بعضاً منها. استحمت قبل أن ترتدي تنورة قطنية بيضاء، وقميصاً ملائماً من دون كمين شبه مزرر. وانتعلت حذاء خفيفاً من دون كعبين ليمكنها من عبور الطرق الصخرية.

توجهت إلى غرفة الجلوس الرئيسة تاركة شعرها الأشقر منسدلاً حول وجهها، وقررت أن تتجول في الحديقة، إذا لم تجد الفطور جاهزاً. تنشقت رائحة القهوة اللذيذة المنبعثة من الفناء في الوقت الذي راودتها فيه الفكرة.

«آيونا، عزيزتي...» اقتربت كاليوبي منها لترحب بها. «هل تتفضلين بمشاركتي الفطور في الخارج؟ أعتقد بأن هذا أفضل وقت من النهار قبل أن تشتد حرارة الشمس ويخيم ظلام المساء. سينضم ثيو إلينا بعد لحظات.» قادتها من خلال ستارة مزودة بخرزات زجاجية يتلاعب بها نسيم الصباح المنعش. «أما خريستو...» قالت بيأس: «لم أعد أعرف النظام الذي يتبعه. لم نره منذ وقت طويل...» ابتسمت المرأة لها. «كان أول من يستيقظ دائماً عندما كان طفلاً.»

«إنه الآن رجل يتمتع بشهية قوية ومفتوحة دائماً.» ضحكت آيونا، وتمنت لو أنها عبرت عن ذلك بكلمات أخرى، ولكن عينا كاليوبي الداكنتان التمعتا ببريق عبثي، وحدقت إلى يد آيونا.

«أرى أن خاتم كريستينا يليق بك، وكأنه صنع خصيصاً لك.»

«نعم.» لمست آيونا الأحجار الكريمة. لا بد أن زوجة ثيو

الأولى كانت تمتلك أصابع طويلة ويدين نحيفتين مثلها. نظرت إلى وجه كاليوبي الجميل. «أتمنى ألا تعارضي اقتراح والد خريستو.»

«بالطبع لا!» أكدت كاليوبي لها ذلك بتهذيب. «حتى لو كان يناسبني...» مدت أصابعها الممتلئة لتظهر استحالة ذلك. «لا يجوز أن تضعه إلا زوجة ابنها. مسكينة... لقد أحبته كثيراً، وسيسعدها كثيراً أن ترى المرأة التي ستمضي بقية حياتها معه تضعه بدلاً منها.»

انكمشت آيونا على نفسها. كانت كاليوبي لطيفة، ولكن كلماتها لم تشعرها بالتحسن بالنسبة للوضع الذي وجدت نفسها فيه. أجبرت نفسها على الابتسام، وتناولت فنجان القهوة من مضيفتها، وضعته على طاولة جانبية وبدأت تملأ طبقها بالزبدة والمربى.

«أتمنى أن تدركي ما أنت قادمة عليه.» مازحتها كاليوبي. «هل علمتك جدتك أن تكوني زوجة طيعة ومطيعة، إني أتساءل؟ لأني أحذرك من خريستو، فهو لا يسمح لأي إمرأة أن تتحداه.»

«ذلك عيب، يا للعار، كاليوبي!» وقف خريستو بجانبهما يدافع عن نفسه. بدا وجهه النظيف مجهداً.

«آيونا تعرف أنني أكثر الرجال حذاقة. في الواقع لقد حاولت أن تتحداني في أول لقاء لنا واستطاعت الهرب من دون أن تنال عقابها!» ابتسم لها وتدفق الدم إلى وجهها، عندما تذكرت خيبة الأمل التي سببتها له في تلك الليلة في آل غريكو.

توهجت وهي تدرك تأثير جاذبيته عليها، وسرى شعور

ممتع لا يحتمل في عروقها. كانت ستعترض على كلامه لو كانا لوحدهما.

خيم صمت غريب، بينما كان يحاول أن يصب لنفسه فنجاناً من القهوة بتمهل، قبل أن تدفع كاليوبي كرسيها إلى الوراء وتقف.

«هناك عدة أمور علي القيام بها هذا الصباح. سيقضي ميكوس والأولاد يومهم مع أهل فردريكا، واعتقد بأن آيونا تود رؤية المزيد من الجزيرة وسأطلب من ماريا أن تحضر لكما غداء خفيفاً في أي وقت تريدانه.»

«ربما أستطيع أن أساعدك؟» وقفت آيونا، لأنها لم تكن متحمسة للبقاء مع خريستو لوحدها حتى ولو لدقيقة.

«نعم.» نظرت كاليوبي إليها بسرور. «بإمكانك أن تبعدي ابني العنيد عن والدة! كان لقاء البارحة ناجحاً. لا أريد أن يفسده أي شيء.» تنهدت ثم أضافت بحزن: «كنت أحلم دائماً أن يجتمع شمل العائلة تحت سقف واحد.»

«لن نفعل أنا وآيونا أي شيء يسيء إلى لقاء البارحة.» رفع حاجبيه الداكنين فوق عينيه الزرقاوين بعبث.

«بالطبع لا.» تمتمت على نحو نزق وأغضبتها طريقة خريستو الابتزازية، ولم تتحسن إلا عندما رأت وجه كاليوبي يشع ببريق السعادة وهي تدخل إلى البيت.

«أنت حقير!» بدا وجهه جامداً وهي تنظر إلى معذبها. «لا أعرف كيف باستطاعتك أن تشجع زوجة والدك على العيش في جنة زائفة. وأنت تعرف أن أحلامها ستتحطم في غضون أيام قليلة.»

هز كتفيه العريضتين استنكاراً. «لتستمتع بأوهامها في

الوقت الحاضر. سيكون هناك وقت كاف لذرف الدموع عندما تتخلين عني نهائياً. وستلعبين دور الحبيبة المخلصة حتى ذلك الحين.» توقف ليتأملها بهدوء. «لأنه مهما كان شعورك حيال الموضوع فمن المستحسن ألا يسبب ذلك أي آلام لأي كان في الوقت الحاضر... وهذا مغاير لطبيعتك الرقيقة.»

أخذت آيونا نفساً عميقاً، وحاولت جاهدة أن تسيطر على أعصابها. ما الذي يميز هذا الرجل الذي دمر حياتها؟ كيف يستطيع أن يحكم عليها بعد هذا الوقت القصير الذي أمضاه برفقتها. وماذا عنها؟ «وأنت من ضمنهم؟» سألت بسخرية. حدق إليها وشعرت كأنها مثبتة إلى جدار مهدد بالانهيار.

«لا، آيونا.» قال بهدوء: «مرة واحدة، ربما، منذ وقت طويل، إنما الخبرة والتقدم في السن يفسيان الرجل، والسجن يتمم المهمة. إذا كان عندي قلب رقيق تأكدي أنه أصبح مشققاً الآن كراحتي يدي.» قدمهما بفخر. يدان جميلتان، يدا رجل قوي وحزين.

أرادت أن تمسك يديه المنبسطتين وترفعهما إلى وجهها للحظة. غيّر مكانه ليضع فنجان القهوة على الطاولة قبل أن تستطيع التحرك.

«والآن بعد أن عرفت أنني أحرص دائماً على مصلحتي الشخصية، ما رأيك في أن تقبلي اقتراح كاليوبي وتسمحي لي أن أريك المزيد من كافوس؟»

«ولم لا؟» بإمكانها أن تؤدي هي أيضاً دورها جيداً طالما هي هنا، وتكون مرتاحة من ضغط ابتسامات عائلة خريستو الصادقة، التي تلاحقها في كل مكان.

«إذن اقترح أن نتناول الغداء في الهواء الطلق على أحد الشطآن. ارتدي ثوب السباحة تحت فستانك وأحضري معك كثيراً من زيت الوقاية.»

«حاضر سيدي.» وقفت وحيته على الطريقة العسكرية بذكاء، ورد عليها خريستو بابتسامة ساحرة. من المستحيل أن تصدق الحادث المشؤوم، الذي لازم حياته في لحظات كهذه. لو أن... فكرت وهي في طريقها إلى غرفتها لترتدي ثوب السباحة الجميل، لو أن ذلك السائح أمضى عطلته في مكان آخر... لو أنه لم يفرط في الاستمتاع بالشراب... لو أن الفتاة اليونانية بقيت في البيت... تساءلت عن هوية الفتاة مرة ثانية. لماذا لم يخبرها خريستو عنها؟ ربما لأنه لم يكن مستعداً للكشف عما في داخله، على الرغم من الطريقة التي كان يستعملها لتحقيق أهدافه. فكرت بحزن. هل كان قوياً فعلاً كما أثبت لها؟ أو أنه يخفي حساسية مرهفة وعميقة لا يسمح لأحد أن يعرف بوجودها ما عدا المرأة التي يحبها.

ارتدت ثوب السباحة وهي مستغرقة في تفكير عميق وتفحصت وجهها وظهرها في المرآة. كانت صوفيا تكره البيكيني ولذلك لم تحاول آيونا شراءه لأنها كانت تحترم رأيها جداً. لم تكن صوفيا قاضية مزعجة. اعترفت وهي تبتسم. أبرز ثوب السباحة الضيق تكاوينها بدقة. أظهر الساقين الطويلتين. وأحاط خصرها وشد بطنها بحذر بينما بقي ظهرها مكشوفاً ومعرضاً للشمس ولم يظهر أي علامات قبيحة تخجل منها.

هل سيعجب ذلك خريستو؟ طردت الفكرة من رأسها. آخر

شيء تحتاجه الآن هو موافقته. كان خريستو يمتلك ردة فعل ملتوية تجاه النساء ككل الرجال، يلهث وراء أي امرأة يرغبها... أي امرأة راغبة. صححت جملتها حتى تكون عادلة في حكمها.

دهنت وجهها وجسدها بزيت البحر، قبل أن تدس الزجاجة في حقيبتها، وترتدي تنورتها وتزرر قميصها.

أراد خريستو امرأة تلك الليلة في آل غريكو. أي امرأة يمتلكها ويسيطر عليها بطريقته الخاصة. وجهاً يساعده على نسيان أخطائه. وأية أخطاء! كانت تبدو هناك كإحدى شخصيات الروايات اليونانية المأساوية، ودفعها القدر إلى وسط المسرح.

كانت تعتقد بأنها ستقع في حب رجل محترم. رجل شريف يحبها ويحترمها. شخص يعاملها كفرد مستقل. لم تتصور أنها ستخدع بالمظهر الخارجي، أو تسمح لرجل لا يستحق حبها وإخلاصها أن يوقظ مشاعرها.

وماذا كانت النتيجة؟ تنهار أعصابها وتتورد وجنتاها في كل مرة يقترب منها خريستو فارلكسيس.

كان ينتظرها في غرفة الاستقبال وعلى كتفه منشفة وفي يده سلة صغيرة. كان يرتدي بنطالاً قصيراً أظهر سمرة ساقيه واستبدل قميصه الرمادي الذي كان يرتديه إلى مائدة الفطور بقميص أبيض مقلّم.

«كم يبعد الشاطىء عن هنا؟» سألته عندما تركا البيت وعبرا القرية.

«نصف ساعة تقريباً.» رمقها بنظرة سريعة. «هل تجدينها بعيدة؟»

«بالطبع، لا.» حاولت أن تجاريه في المشي، وقد لاحظت أنه خفف من سرعته.

شعرت بتشنج عضلات قدميها يزول بعد فترة قصيرة عندما دخلا غابة الصنوبر وسلكا منعطفاً منحدراً. بدأت تسترخي وهي تستنشق عبير الصنوبر المنعش. كان شعورها بقوة القدر ثابتاً تلك اللحظة، على الرغم من دفء النهار، ولم تستطع أن تسيطر على الرعدة التي سرت في جسدها.

«هل تشعرين بالبرد؟» بدا قلقاً عندما أدرك حركتها. «لم يعد بعيداً... باستطاعتك أن تري البحر!»

كان محقاً. رأت بريق الماء الأزرق من خلال الشجيرات الكثيفة، وعرفت أنهما على بعد بضعة ياردات عن مكانهما المقصود. ركضت وأطلقت العنان لمشاعرها.

خلعت صندالها بحماس وتركت قدماها أرض الغابة الجافة لتغرقا في رمال الشاطىء.

«ما رأيك؟» وقف خريستو إلى جانبها. «هل استحق ذلك كل هذا المشي؟»

«يستحق ضعف المسافة!» استدارت لتواجهه بوجه متألق: «اعتقدت بأنه سيكون مزدحماً بما أن سكان البحر الأبيض المتوسط تخلوا عن شطآنهم السرية إلى السياح.»

«ليس بعد.» وضع ذراعه حول كتفيها وشدها إليه. كانت حركته دافئة وودية، لم يسمح لها مزاجها الحاضر برفضها، مع أنها حاولت جاهدة أن تسترخي حتى اعترضتها حركته.

كان كل عصب فيها ينبض ألماً، واستعدت للدفاع عن

نفسها، كحيوان أحس بالخطر يدنو منه تدريجياً. عندما أضاف، «ما يزالون يحتفظون بأفضل المواقع للعشاق.»

أثار صوته الأجش والعميق حواسها. ولكنها كانت مستعدة لمحاربته إذا كان سيضايقها!

«أتمنى ألا يطردوننا إذا اكتشفوا أننا مجرد ممثلين!» حررت نفسها بسرعة منه، وارتاحت، عندما لم يحاول منعها. «لا أستطيع الانتظار أكثر.»

حلّت أزرار قميصها بأصابع مرتجفة وخلعته ببطء قبل أن تركض نحو حافة الماء.

وهناك خلعت حذاءها، وتقدمت بصعوبة واعية لمراقبة خريستو لحركاتها.

لم تجرؤ وتنظر وراءها، إلا عندما غمرتها المياه حتى عنقها. كان يقف على حافة الماء مرتدياً ثيابه، وفكرت للحظة، بأنه لا ينوي أن ينضم إليها. كانت مخطئة. إنه صورة ظلّية لأدونيس بين أشجار وطنه الكثيفة. فكرت أيونا بشاعرية ووبّخت نفسها على نزوتها الرومنطيقية. لكنه كان جميلاً كأي حيوان صغير في بدء نموه. لم تستطع أن تبعد نظرها عنه، وهو يلف ذراعيه ليمسك بطرف قميصه ويسحبه من فوق رأسه بكسل.

بدأ قلبها يخفق بسرعة جنونية، عندما لاحظت أنها كانت تتوقع أن ينضم إليها في أي وقت، لم تر له أي أثر، تضاربت الأفكار في رأسها، واعتراها الخوف ولم يتبدد إلا عندما استطاعت أن تلمح رأسه من دون عوائق.

لم تكن سباحة ماهرة، ولذلك قررت أن تعود إلى الشاطىء، لتتفحص بعض الأصداف والأحجار الملونة.

تناولت منشفتها من حقيبتها وجففت نفسها بها، ودهنت أجزاء جسدها المكشوفة بزيت البحر، وتمددت تحت ظل شجرة وأغمضت عينيها.

أحست بوخز خفيف يدغدغ وجنتيها بعد وقت قصير، ورفعت يديها لتكتشف مصدره، فتحت عينيها، وارتبكت عندما وجدت خريستو بقربها تتدلى من يده بعض الأعشاب. «متى عدت؟» استقامت في جلستها وثبّتت رباط ثوبها.

«منذ ساعتين.» قال باختصار.

«لا يمكن ذلك.» بحثت عن ساعتها في حقيبتها ورفعت حاجبيها بذهول عندما لاحظت أنه لم يكن يعبث معها. «يا إلهي! لماذا لم توقظني؟»

«وهل كان علي أن أفعل ذلك؟» كان يجلس بقربها يريح ذراعيه على ركبتيه، ورأسه مدار باتجاهها وعيناه شبه مطبقتين بسبب ضوء النهار. «كنت بحاجة إلى النوم وقد اخترت أفضل مكان. لم يكن هناك خطر على بشرتك الناعمة من الاحتراق. وإلى جانب ذلك استمتعت بمراقبتك وأنت نائمة.»

لم ترد أن تعلق على كلماته الغامضة. بدأت فكرة مراقبته لها ترهق أعصابها. كان هذا انتهاكاً لعزلتها ولا يمكنها أن تلوم إلا نفسها.

«كان عليك أن توقظني!» قالت بتوتر.

«لقد فعلت الآن ولسبب مهم.» مال جسده نحوها ورفع يده لينفض الرمل العالق على كتفيها. «كنت أفكر لساعتين مضتا، إذا كان علي أن أعانقك أم لا وقررت أن أفعل ذلك أخيراً.»

«خريستو!» حاولت أن تتظاهر بالغضب. إنما الطلقة التي لفظت بها اسمه بدت أقرب إلى الدعوة منها إلى الرفض. وأدركت ذلك بخوف. شعرت بالدفء وبالكسل في هذه الجنة الصغيرة. لا بد أن يكون هناك سبب!

حاولت أن تبتعد عنه لكنه أمسكها وهي تحاول النهوض وشدها إليه بقوة حتى أستلقت فوق الرمال الدافئة.

«خريستو، لا... يجب ألا تفعل ذلك!» توسلت إليه.

«يجب أن أفعل ذلك.» تحداها بتهذيب.

ارتعدت وأزعجها ما كان يحصل بينهما. وشعرت بألم الفراغ الذي لم تختبره من قبل يضعف مقاومتها الذهنية.

نطقت باسمه مرة ثانية من دون وعي بطريقة توازن بين احتجاجها ورضاها.

أخذ خريستو نفساً عميقاً عندما أحس بتملصها، حدق إليها من دون أن يحاول اخفاء خيبة أمله. «أخبريني، هل كان ذلك الانكليزي... فيليب عشيقك؟»

يا إلهي! ألم يكتف منها بعد؟ لقد أربكها جسدياً وذهنياً. كيف يتوقع منها أن تتحدث عن ماضيها بعد أن استعبدتها جاذبيته؟

«هذا لا يعنيك!» أجابته بحدة.

رفعت يدها لتتأكد من أنه أحكم شبك الابزيم.

«هل كان عشيقك؟»

«لا!» كانت ما تزال تحاول أن تسيطر على توترها. «مع أنه ليس من حقك...»

«ولم لا؟» تأمل ردة فعلها. «ولم لا يا أيونا؟ كنت تنوين الزواج... لا بد أنه أرادك. لماذا لم تدعيه؟»

«لأن...» توقفت. ترددت في الإجابة على سؤاله ولكن أجبرتها قوة عينيه. «لأن جدتي كانت يونانية!» قالت بتوتر أخيراً. «ولم تكن فتاة مدينة بل فتاة جزيرة! ولقد علمتني أن أحتفظ بعذريتي لزوجي! هل بإمكانك أن تفهم ذلك.»

كانت نصف الحقيقة. لم تشعر بأنها تريد أن تلتزم بمبادىء صوفيا. لولا أن ذلك أصبح من مبادئها. في الواقع كانت مسرورة. فلو كان فيليب عشيقها لكان الأمر أكثر إذلالاً بعدما وقع في حب امرأة أخرى

«ربما» لم تستطع أن تقرأ تعبير وجهه. «كانت هذه العقيدة سائدة بالتأكيد لكن هل كانت تتبع بحذافيرها؟»

«أنت تستند إلى خبرتك الخاصة.»

«بإمكانك أن تقولي ذلك.»

توردت وجنتاها عندما تذكرت خطيبته السابقة التي وجدت رجلاً آخر في غيابه. رفعت ذقنها بتحد لتواجهه. «إذاً أنت لا تحتقرني لتمسكي بتلك المبادىء؟» سألت وهي ترتجف مدركة الخطر المحيط بها وحدة تعابير وجهه الداكن. بدأ جسمها يتراخى. وفي تلك اللحظة شعرت أنها تحت رحمته.

الفصل التاسع

حاولت أن تمنع فمها من الارتجاف، عندما ترقرقت الدموع في عينيها أدارت رأسها بعيداً عنه، خجلة من نفسها لأنها سمحت له بمداعبتها.

«آيونا...» أحنى رأسه قليلاً ليرفعها عن الأرض. حاولت ألا تنظر إليه، لكنه أدار ذقنها بلطف، وأجبرها على النظر إليه، وعيناه تتفحصانها باحراج.

«لا تغضبي مني، إني أصدقك وأقدر مبادئك. لكنه ليس الجواب الذي أردته.» توقف ولم تر سوى الحيرة على وجهه. «أردت أن أسمعك تقولين إنه لم يكن عشيقك لأنك لم تحبيه كفاية حتى تمنحيه نفسك!»

«وهذا...» أجبرها على قول الحقيقة. «اعتقدت بأنني أحببته.» اعترفت بشجاعة. «لقد وافقت عليه جدتي. كان وسيماً ومهذباً، وكنا نحب نوع الطعام نفسه، الموسيقى، الأدب...»

«لكنه لم يلهب مشاعرك أو يملأ أحلامك؟»

«كان حساساً ولطيفاً! لا أعرف كيف كنت سأتصرف لو لم يكن بجانبي يؤاسيني بعد موت صوفيا!»

«لقد أعجبت به واعتمدت عليه.» كوّن رأيه بسرعة. «لكنه لم يثر فيك أية رغبة كما أفعل أنا معك.» تفحصها بدقة. كانت ستنكر لو كان هناك أمل في أن يصدقها ولو لم تخنها أحاسيسها.

«أنت الخبير.» اتهمته وطغت المرارة على صوتها الناعم: «وأنا كنت فريسة سهلة من البداية ولكنني لن أضحي بمبادئي من أجلك... أنا... أنت...» تلعثمت بيأس ولم تستطع إخفاء مشاعرها.

«لأنني أشعرك بأنوثتك بدل أن تكوني رفيقة مسلية أصحبها معي في الحفلات أو أتمشى معها في الخارج؟»

إنكمشت من سخريته. «ولكنك تعرفين أنك لست بحاجة إلى التضحية بمبادئك لتستمتعي.» داعبت أصابعه بشرتها. «صدقيني، لن أؤذيك أبداً. كل ما عليك أن تفعليه لإراحة ضميرك واشباع رغباتك هو أن تجعلي من ارتباطنا المؤقت ارتباطاً أبدياً!» شدت أصابعه على بشرتها وبدا صوته ناعماً لكن متوتراً. «كوني زوجتي يا آيونا! بما أنك تضعين خاتم والدتي.»

تقلص حلقها وما تزال تحس بقربه. «ما نكاد نعرف بعضنا بعضاً...» عرفت أنها لم ترفض الفكرة تماماً وحذرتها غريزتها من الخضوع لقوة شخصيته.

«سنمضي بقية حياتنا نكتشف بعضنا البعض.» تغاضى عن احتجاجها. «هناك ثمن لكل مبدأ وأنا مستعد أن أدفع ثمن مبدئك. ماذا تريدين أكثر من ذلك؟ هل تعتقدين أن ليس باستطاعتي أن أؤمن لك حياة رغيدة؟»

لم ينتظر ردها وأضاف بقسوة: «لست برجل غني أو بفقير أيضاً. ورثت عشرة بالمئة من أسهم شركة فارادكسيس للبناء منذ ثماني سنوات عندما كنت في الخامسة والعشرين من عمري، وهناك شركة ڤلاميوس أيضاً.» توقف ثم قال بهدوء. «لقد أوصى ڤلاميوس بكل

ممتلكاته لي، وإني أؤكد لك أن أعماله في ازدهار مستمر.»

«توقف! توقف!» غضبت من اصراره على رشوتها بالمال، والتمعت عيناها. «أنا لست مهتمة بمدخولك.»

ابتسم من دون حرج. «حتى لو أنه سيمكنك من شراء ثيابك من أثينا، والعودة إلى انكلترا، في العطلات الصيفية بانتظام، وزيارة بعض الأماكن الجديدة؟ ولن تحتاجي إلى العمل يوماً آخر في حياتك إلا إذا كنت تفضلين أن تؤسسي عملاً خاصاً بك. هذا ممكن أيضاً.»

هزت رأسها بضعف. كيف بامكانه أن يتغاضى عن مشاعرها؟ «لا يعوض المال الأشياء الأخرى.»

«هل تقصدين أيامي في السجن؟» سأل بحرارة: «ألا يمكنك تحمل ماضيّ؟»

«لا! أعني...»

«هل أنت خائفة مني إذاً؟» قال بصدق: «خائفة من أن تصبحي ضحية عنفي، أيونا؟»

«لا، هذا ليس صحيحاً يا خريستو، أنا أقسم بذلك.» بدا وجهها حزيناً ورفعت يدها لتلمس خده الناعم لتؤكد له كلامها.

كانت تعرف أن خريستو لن يسيء معاملة امرأة مهما كان الدافع، ومن دون شهادة أريستيد. «أنت لا تفهمني، لا شيء يجمع بيننا.»

«هناك حاجة متبادلة.» لمس يدها. «تأسيس بيت وعائلة. لقد حاولت أن أتصور نوع المرأة التي ستكون مستعدة للارتباط بشخص له ماضٍ كماضيّ لمدة ست سنوات تقريباً. ثم التقيت بك وجذبني جمالك وحنانك.»

«اعتقدت بأنني مومس!» شعرت بالازدراء. «افترضت أنني متوفرة بأي سعر! لم يتغير أي شيء. ما يزال يفكر في الطريقة نفسها.

«لا، يا حبيبتي.» ابتسم باقتضاب. «أعترف أنني عالجت الوضع بطريقة سيئة. توفي عرابي فجأة، وكما كان يتمنى وكانت الصدمة كبيرة عليّ. كنت أبحث عن عزاء عندما ظهرت كاستجابة لصلواتي.» استمر في تحديقه إليها، ومرر يده في شعرها. تسارعت نبضات قلبها وتدفق الدم إلى وجهها. هل كان يجد صعوبة في السيطرة على نفسه أكثر مما تخيلت؟ حاولت أن تنسحب خائفة من ردة فعلها.

«خريستو...» همست باسمه.

«من أنا حتى أرفض هذه النعمة الإلهية؟» أردت أن أخفف من ألمي معك. أردتك كثيراً لدرجة أنني أوهمت نفسي بأنك تريدينني أيضاً. كان حكماً خاطئاً. حكماً ما كنت سأصدره لو لم تكن حواسي متلبدة بالحزن. تركتك عندما أدركت غلطتي.»

«أنت غير معقول! كل ما تريده هو امرأة. امرأة تضمن لك قبولك في بلفادير. أنت خائف من أن يطردوك عندما أرحل...»

شعرت بنفسها تذوب تدريجياً تحت ضغط اصراره. لم يتظاهر خريستو بأنه يحبها أبداً، لكن يقال إن الحب يولّد الحب، إذن ألا يمكن أن تجعله يبادلها الشعور مع الوقت إذا وافقت على عرضه؟

«لا.» صحح بلطف. «لن يتكرر ذلك أبداً. كل ما أريده الآن هو أنت... كزوجة... أما بالنسبة لكوني غير معقول...»

ضحك. «أعترف أنني صعب أحياناً، لكن ليس غير معقول أبداً.» كان يعرض عليها كل شيء... ما عدا الشيء الذي أرادته منه. اعتراف بأن رغبته فيها كانت مبنية على عاطفة صادقة.

«تجعل الأمر يبدو وكأنني مرشحة في عمل ما.» احتجت وتوسلت ألا يرى الدموع في عينيها.

لم ينكر ذلك. «هذا أفضل مركز لأفضل طالب وظيفة.» وافق. «لكنني لا أستطيع أن أكذب عليك يا آيونا. سأحاول أن أتكيف مع الماضي لكنني لن أستطيع أن أدفنه أبداً. ستجدين أن المال يمنح الاحترام. وأن لدى معظم الناس ذاكرة ضعيفة.»

كان محقاً. لقد كانت تعرف ذلك. أشخاص كأريستيد والعائلة التي اعتقد بأنها سترفض استقباله في بيته وبعض المواطنين الآخرين الذين كانت أيديهم ملطخة بالدم لأنه كان عندهم الشجاعة لحماية الضعيف من أي اعتداء.

«لا أعتقد أن الأمر بهذه السهولة...» حاولت آيونا جاهدة أن تسيطر على ارتجاف صوتها وهي في صراع مع غريزتها. كانت مشاعرها تجاه خريستو معقدة. أليس هذا أساس الحب؟ كانت تدرك شيئاً واحداً. كانت تريده أن يمتلكها، أن تراسيه في وحدته، تسانده في لحظات ضعفه، تبكي معه في كآبته، تضحك معه في سعادته، تنجب أطفاله... ماذا ستجني من هذا الزواج؟

«لا؟ إذن دعيني أحاول وأسهل عليك...»

وجدت نفسها بين ذراعيه مرة ثانية يعانقها. شعرت بتحفظها ينهار. رفعت يديها إلى كتفيه وأحاطتا بعنقه.

كانت تتنفس بصعوبة وقلبها يخفق بسرعة جنونية وأحست بنفسها كعصفور ضعيف واقع في فخ. عاودها شبح تلك الفتاة التي جازف خريستو بسمعته وحريته من أجلها. هل كانت أجنبية؟ هل كانت علاقتهما مثيرة؟ هل قتل الرجل بدافع الغيرة؟

«كوني صريحة معي يا آيونا.» كان تنفسه دافئاً على أذنها. «أنت لا تريدين أن تتركي كافوس. تريدين أن تبقي هنا. وتصبحي... زوجتي...»

اتخذت قرارها، ستكون له، ليس بسبب رشاويه بل لأنها تحبه بكل جوارحها.

«نعم.» همست: «نعم يا خريستو، إذا كنت متأكداً من طلبك، عندئذ سأتزوجك.» لم تعرف كم مضى من الوقت قبل أن يحررها خريستو من العناق.

«ليس بعد... ليس هنا.» حطم خريستو السحر الحسي الذي كان يستعيدها. «إني بحاجة إلى الوقت والخلوة كي اعطيك الحب الذي تستحق.» بدت عيناه سوداوين وهو ينظر إليها. «يجب أن نتصل بوالدك أو نكتب إليه هل تعرفين عنوانه؟»

هزت رأسها. «أنا في الثانية والعشرين من عمري. لست بحاجة إلى موافقته.» احتجت.

«من الأفضل أن تحصلي على بركته.»

«نعم، بالتأكيد.» بدت الفكرة رائعة، ربما بسبب التماسك العائلي الذي شهدته في بلفاندير. تنهدت بعد أن أدركت الحقيقة. حقيقة أن والدها أحب والدتها أكثر منها.

«حسناً.» التمعت عينا خريستو ببريق النجاح. «سنتناول

الغداء ثم سنبحث عن الكاهن. لقد وافقت على أن يكون زواجنا في العشرين من الشهر القادم؟»

تجمدت في مكانها لبضع لحظات، تتفحص الرجل الوسيم وتستوعب جماله. ربما سيأتمنها على أسراره مع الوقت. وكما قال أريستيد، خريستو ليس برجل سهل. عليها أن تثق به لأنها تحبه. تثق به لبقية حياتها.

أخذت نفساً عميقاً. «أعتقد أنه تاريخ ملائم.» وافقت بصوت حازم.

قدم العشاء في الثامنة والنصف. ألقت آيونا نظرة سريعة على ساعتها وأدركت أنها تجاوزت الحادية عشرة.

ابتسمت لخريستو الذي لم يكف عن النظر إليها طوال السهرة.

«سعيدة؟» سأل برقة.

«جداً.»

«من دون ندم؟» رفع حاجبيه بتساؤل.

«بالتأكيد.» قالت بصدق. تفرقت المجموعة الصغيرة في الثانية عشرة مع أن الولدين تركا المائدة في التاسعة، بعد أن تناولا العشاء مع الكبار.

كان خريستو يتحدث مع أخيه وزوجته عندما تركت غرفة الطعام. قبلت خريستو على خده وتمنت له ليلة سعيدة، وهي تشعر بتعب شديد. هل سيأتي إلى غرفتها؟ لقد فعل ذلك في أول لقاء لهما... وبتشجيع أقل! ابتسمت. هل كانت ستصبح عشيقته لو لم يرجع ميكوس وعائلته باكراً، لأن والدة فردريكا كانت مريضة؟ كانت تتعذب طوال الأمسية،

ومع ذلك استطاعت أن تسيطر على أعصابها حتى لا تحرج عائلته.

كانت المقابلة مع الكاهن ممتعة ومفيدة. كان بيته الصغير بجانب الكنيسة الأورثوذوكسية اليونانية، والبيزنطية الطراز، والتي توسطت ساحة المدينة الصغيرة. أدركت آيونا موقف الكاهن الودي من خريستو. كان الزواج نادراً في تلك الجزيرة الصغيرة، ولذلك وافق الكاهن على تاريخ الزواج بسهولة وطلب منهما تجهيز بعض الأوراق الضرورية.

ولم يبق إلاّ أن تتصل بوالدها في الولايات المتحدة، وقررت أن تفعل ذلك حالما تصل إلى بلفادير. ولسوء حظها كان والدها في رحلة عمل في الخارج، ولكنها تحدثت مع زوجته لبضع دقائق، وأكدت لها أن والدها سيتصل بها في أقرب وقت، وأنه لن يفرح فقط بل سيكون متحمساً لحضور الاحتفال.

تمددت على السرير قبل أن ترتدي قميص نومها. لن تصد خريستو هذه المرة. كان حبها أقوى من أن تفعل ذلك. شعرت أنها على حافة الانهيار.

كيف بإمكانها أن تنام وحواسها كلها مستيقظة؟ أطفأت الأنوار وهي تتنهد قبل أن تفتح باب الشرفة وتخرج إلى هواء المساء الدافىء. كانت مدركة لعدد النجوم الوافر الذي ابرز ضوؤها شكل نافورة المياه وبعض الشجيرات. جلست على أحد المقاعد وأسندت ذراعيها على الدرابزين.

حاولت أن تمتع نفسها بالتعرف إلى بعض معالم الحديقة. وهناك رأت حركة... وراء الشجيرات المظلمة.

خريستو؟ تسارعت نبضات قلبها، عندما لمحت قميصه الأزرق الذي كان يرتديه على العشاء. ألم يقدر على النوم؟ هل كان يجد صعوبة في احترام مبادىء صوفيا؟

سرت في جسدها رعدة مثيرة. ستبدو كجولييت وهي ترحب بروميو من فوق الدرابزين. ترددت عندما رأت شخصاً آخر.

«فردريكا!»

توترت أعصابها عندما حطم صوت خريستو القوي صمت الليل. تحرك باتجاه زوجة أخيه، وتوقف على بعد ياردات من مكانها.

«خريستو.» تجمدت آيونا في مكانها عندما رأت الفتاة اليونانية تريح رأسها على كتفه.

أحست بغيرة مؤلمة ومريرة. كان لقاؤهما عاطفياً أكثر مما تستحق علاقتهما. شعرت بالغثيان وهي تتذكر نظرات فردريكا المتألقة، تحفظ ميكوس على حضور أخيه، والتوتر الذي ساد الأمسية السابقة... النظرات المبهمة التي تبادلها الرجلان على العشاء منذ بضع ساعات... لم تقو على التخيل لأنها أحست بدوار وأحكمت أصابعها على الدرابزين. يجب أن تعود إلى غرفتها وتتغاضى عن كل ما رأته ولكنها ستلفت انتباههما إن فعلت ذلك. إذلال كبير لا تستطيع أن تتحمله.

ابتعدت فردريكا عنه قليلاً ونظرت إلى عينيه وتعبير الحب منعكس على ملامحها الكلاسيكية. مشهد زاده القمر اشراقاً. أجفلت آيونا من الهيام الواضح على وجهها الجميل.

«رأيتك في الحديقة وعرفت أنه علي أن أتحدث معك على انفراد. والآن بعدما أصبحنا بمفردنا لا أعرف ماذا عساي أن أقول.» قالت بنعومة ويدها تداعب وجه خريستو بالغة. «لقد ضحيت بالكثير من أجلي... ما تزال تنتابني الكوابيس حول ذلك الرجل. أعرف أننا أقسمنا على عدم ذكر ذلك مرة ثانية...»

«إذن لا تفعلي.» وبخها صوته العميق. مرر أصابعه في شعرها. «هل أنت راضية عن خططي؟»

«أنا مسرورة جداً.» كانت الدموع تنهمر على خديها. «هناك الكثير لأقوله لك... قلبي...» توقفت. «أنت تعرف شعوري نحوك ولن أنسى ما حدث أبداً.»

«اصمتي يا فردريكا.» كانت تمتمته عزاء وشعرت آيونا بالألم يعصر قلبها. «لقد انتهى كل شيء، الآن. علينا أن ننسى جميعاً.»

«لكنني ما زلت أشعر بالخجل من الطريقة التي عاملتك بها. كنا ما نزال مخطوبين وكان الجميع يتوقع زواجنا...»

«تقليد قديم لا أحد يأخذه على محمل الجد.» بدد مخاوفها. «لقد تصرفت كما تتصرف أية فتاة في مركزك.»

«ربما...» بدت متشككة. «لقد جئت إلى هنا لأتمنى لك السعادة.»

لم تستطع آيونا أن تتحمل المزيد. استغلت فرصة انسجامهما لتدخل إلى غرفتها.

كانت محقة طوال الوقت. كان هناك شيء خاص بين خريستو وزوجة أخيه. ولقد تأكدت من ذلك مما سمعته الآن. فردريكا هي خطيبته السابقة. وهي كانت سبب القتال الذي

أدى إلى سجن خريستو وكانت هي وخريستو حبيبين أيضاً... وهل هناك طريقة أخرى لترجمة تلك اللحظات. الحب والفرح. اللذين منحهما خريستو لها؟ ومع ذلك تزوجت أخاه حالما رحل.

خريستو. لماذا؟ أعماها شعورها بالغضب عن التفكير في مأساته. هل لجأت إلى ميكوس لأنها كانت خائفة من مواجهة خريستو بعد الحادث؟ لذلك كان خريستو يقول إنه كتب له أن يبقى وحيداً. كيف بإمكان أي امرأة أن تتخلى عن حبيبها بتلك القساوة؟

تقلبت آيونا في فراشها من شدة الألم. لو أنها رفضت ذلك المشروب... لكانت فكرت بوضوح أكثر.

لم تهجر فردريكا الرجل الذي كان خطيبها فقط لكنها فعلت الكثير بعد اعتقاله. ستحتفل هي وميكوس بعيد زواجهما السادس الشهر المقبل؟ وزواجها هي؟ يا للسخرية!

بدأت مأساتها تتوضح تدريجياً الآن بعد أن ضمت المعلومات التي في حوزتها إلى بعضها البعض. أمضى خريستو ثلاث سنوات في السجن وبقي بعيداً عن بلفادير لسنتين. هذا يعني أن ميكوس تزوج فردريكا بعد اعتقال خريستو وقبل محاكمته.

خائنة فردريكا! كيف باستطاعتها أن ترتبط بشخص بهذه السرعة وهي ما تزال تحب الرجل الذي رفضته؟ كلمة واحدة فرضت نفسها على الرغم من تلبد أفكارها. الخطل.

لكن هذا مستحيل. كانت إكزاني في الخامسة فقط. لكن متى؟ بالطبع! يوم عيد القديسة بوليكزينا. قفزت من سريرها

بسرعة وأشعلت ضوء خفيفاً. كان دفتر يومياتها على الطاولة بجانبها. دفتر أهدته صوفيا لها منذ خمس سنوات. كانت أيام الأسبوع مرفقة بأسماء القديسين. ستبدأ بشهر كانون الثاني. توقفت أصابعها على الرابع والعشرين من شهر كانون الثاني.

كانت على حق. إذا كانت إكزاني قد أتمت الخامسة في كانون الثاني هذا يعني أن فردريكا كانت حاملاً في شهرها الثالث عندما تزوجت. كان ميكوس يعرف ذلك بالطبع. ولذلك كان لقاء الرجلين في الفناء مقتضباً. لا بد أن ميكوس أحب فردريكا أيضاً. لا يعقل أن يكون تزوجها لمجرد أن يمنح طفل أخيه إسماً. إلا إذا كان ثيو هو الذي حثه على ذلك، مقابل مركز مهم في شركة فارادكسيس للبناء. يفعل ثيو أي شيء حتى يحتفظ بطفل خريستو في العائلة لأنه كان يريد أن يعهد ببلفادير إلى ولديه.

ارتجفت آيونا، يا للسخرية، لأن فردريكا أنجبت طفلة من ميكوس لاحقاً ولم يعد في مقدورها الإنجاب أبداً. لن يتغير أي شيء مهما كانت دوافع فردريكا. ستظل الوقائع كما هي. خريستو لا يحبها وهو مغرم بزوجة أخيه. لقد سمعت ورأت الإثبات بعينيها وأذنيها.

تنهدت بألم والدموع تنهمر على خديها وتتساقط على قميص نومها القطني. توضح لها الآن معنى قرار خريستو. لا يريد سوى إشباع رغباته. هذا ليس بسبب كاف إذا كان يريد أن يعود إلى بلفادير.

إذا كان يريد أن يجتمع بميكوس وبفردريكا ويتمتع برؤية ابنته. سيكون من الأنسب له أن يتزوج ويتظاهر

بالسعاية حتى يتجنب الفضيحة. ربما لم يكن ميكوس يتمتع بسلطة خريستو الواضحة لكن عنده ما يكفي من كبرياء آل فارادكسيس حتى يبعد زوجته عن أي رجل آخر.

لم يكذب خريستو، عندما قال إنه سيرحب به أكثر في بلفادير، إذا أحضر معه عروساً، مع أن دوافعه كانت أكثر تعقيداً مما أوحى به لها. كانت غبية، عندما اعتقدت بأنه بإمكانها أن تكسب وده بصبر، وبقوة حبها، مهما كانت خيبات أمله في الماضي.

الفصل العاشر

يا إلهي! كم كنت غبية! أدركت آيونا الآن السبب الذي جعلها مثالية للقيام بالدور الذي فُرض عليها برغم أنها نصف يونانية، فهي أجنبية، ولم تكن موجودة عندما وقعت المأساة. مايزال خريستو يثير فضول الكثيرين مع أن جريمته تصدرت صفحات الجرائد منذ ست سنوات. كان من الصعب عليه أن يجد فتاة محلية تقبل بهذه المهمة المستحيلة، وبالزواج من رجل يحب امرأة أخرى. زوجة أخيه! عاودتها هذه الأفكار مراراً. هل كانت دوافع خريستو حقيرة؟

هل كان ينوي أن يبدد شكوك ميكوس، بالتباهي بها كحب حياته الوحيد، ويستغلها ليستأنف علاقته بفردريكا؟

إنها الغشة التي قصمت ظهر البعير وافقدتها أعصابها نهائياً. تنهدت بيأس، ودفنت وجهها في الوسادة، ودموعها تنهمر على خديها.

«أكرهك يا خريستو! أكرهك!» أدركت انها لم تكن تكره خريستو... بل تكره ما فعله بها وبعائلته التي تحبه.

استيقظت باكراً في الصباح التالي. وجدت ثيو يلاعب حفيدتيه في الفناء، وكاليوبي في المطبخ تتناول وجبة الفطور مع ماريا، بينما كان ميكوس مستلقياً على إحدى الأرائك في غرفة الجلوس يقرأ جريدة. لم تجد أي أثر لفردريكا وخريستو.

صبت لنفسها فنجان قهوة بعد أن ألقت التحية على الجميع. تحاشت تناول الخبز لأنها أحست أنها ستختنق إذا حاولت أن تأكل أي شيء صلب.

اختارت ثيابها بعناية لتلائم هذه المسرحية المعقدة... بنطالاً من الجينز وقميصاً من دون كثير. هذا النوع من الثياب جعلها تشعر بطريقة ما أكثر تحصناً ضد سطوة خريستو عليها. لم تكن بحاجة إلى مواجهته فقط بل إلى اقناعه بقرارها. وكانت تترقب هذا اللقاء بفضول وغضب.

لم تكن مستاءة من نفسها. بخلاف ذلك، لأنها قررت أن تقوم بالمبادرة الأولى. ولذلك اختارت ثيابها بعناية ووضعت بعض المساحيق على وجهها لتخفي آثار دموعها وشحوبها.

وصلت فردريكا بعد بضع دقائق وبدت جميلة وانيقة في بنطالها القصير وقميصها الأبيض.

كنا، أنا وميكوس قد وعدنا الطفلتين بأن نأخذهما إلى الشاطىء هذا الصباح.» قالت بهدوء.

«إنها فكرة جيدة.» ظهر خريستو فجأة وهو يضع يديه في جيبي بنطاله الرمادي، المتناسق مع قميصه القطني القصير الكمين. كانت تنتظر هذه اللحظة بنفاد صبر بعد أن أكتشفت مؤامرته الحقيرة.

وثب قلبها من مكانه، وشعرت بألم في حلقها، عندما أراح جسده القوي على أحد المقاعد وأمسك إبريق القهوة. «يجب أن أتصل بالشركة بعد تناول وجبة الفطور. سانضم أنا وآيونا إليكم، إذا كنتم قد اخترتم الشاطىء الذي

ستذهبون إليه. ما رأيك؟» رفع حاجبيه بتساؤل. أجابت على اقتراحه المتعجرف باللهجة نفسها.

«لقد اكتفيت من البحر البارحة.» هزت كتفيها. وهي تتذكر الساعات التي امضتها معه، وقد بدت جميلة حينها، وأدركت أنها بدت وقحة وغير مبالية. كان هذا جزءاً من الشخصية الجديدة، التي قررت أن تفرضها على هذا اليوناني المعقد، الذي حطم قلبها.

«في هذه الحال، سنجد شيئاً آخر نشغل به وقتنا.» ابتسم بسهولة، وحوّل نظره عن عينيها المفعمتين بالتحدي إلى فمها الممتلىء، شعرت بالتوتر، وغضبت من نفسها، لأن تأثيره مايزال قوياً عليها، على الرغم من استيائها الشديد منه. أدارت رأسها بعيداً عنه، وأغمضت عينيها بشدة حتى تطرد صورته من مخيلتها.

خيم صمت غريب لبضع لحظات قبل أن يطلق ميكوس ضحكة سريعة. «قرار حكيم يا خريستو. عندك ما يكفي من الوقت لكي تبدأ في بناء قصور من الرمال عندما يصبح عندك أولاد.»

«مشهد أترقبه بفارغ الصبر.» أجاب خريستو بهدوء ولفت انتباهها مرة ثانية.

طالما أنك لا تتوقع مني أن أكون والدتهم. أرادت أن تصرخ. أحست أنها على حافة الانهيار، ومع ذلك استطاعت أن تسيطر على نفسها، واعية لنظرات كاليوبي وثيو الفضولية.

وقفت بسرعة وتمتمت شيئاً حول نظارة الشمس خاصتها، ودخلت إلى البيت وهي ترتجف.

«آيونا... أنتظري! ما بك؟ هل أنت مريضة؟»

كانت في طريقها إلى غرفتها عندما أحست بيد خريستو على كتفها. كانت حركته سريعة كأسد على وشك أن ينقض على فريسته. «إني بخير.» تظاهرت بالهدوء.

«لقد فكرت ملياً في الموضوع وقررت أن أعود إلى كريت.»

«ماذا؟» بدا وجهه شاحباً.

ابتعدت عنه خطوة للوراء. وشعرت بالأمان لأنها لم تكن في غرفتها، لأنها تستطيع أن تطلب المساعدة إذا احتاجت لها، وعرفت أن ذلك محتمل من النظرة المرعبة التي على وجهه.

«أني آسفة... هل لغتي اليونانية سيئة إلى هذا الحد؟» سألت بهدوء. «قلت إن...»

«أعرف ماذا قلت.» اقترب خطوة منها. «لماذا تريدين أن تعودي إلى كريت بعد أن حددنا موعد الزواج؟»

«حقاً!» كان قلبها يخفق بسرعة مؤلمة، مما جعلها تضع يداً إلى صدرها في محاولة يائسة لإبطاء سرعة خفقاته.

أمسكها بذراعيه القويتين. «ماذا تحاولين إخباري، آيونا؟»

«لقد غيرت رأيي. فكرت ملياً البارحة وقررت ألا أتزوجك.» سرت رعشة مؤلمة في جسدها وهي تنظر إلى وجهه الجميل.

«لماذا؟» سألها بتوتر وعيناه تقدحان شرراً. «ما الذي حدث البارحة حتى جعلك تغيرين رأيك؟»

حان الوقت حتى تخبره بالحقيقة. لكن كبرياءها

أجبرتها على المراوغة. «نقل إنني استعدت رشدي. لم أعِ ما قلته البارحة ونحن على الشاطىء. كان مكاناً رومنطيقياً وقعت تحت سحره. عدت إلى الواقع... بعد ليلة نوم هانئة. هذا ما في الأمر.»

«هذا سخيف. لا يمكننا أن نقف هنا ونناقش مستقبلنا...»

«ليس لدينا أي مستقبل... ليس معاً.» بلعت ريقها بصعوبة. «هذا ما أحاول أن أخبرك إياه. لقد قررت، ولا داعي لأن نناقش الموضوع أكثر.» حدقت إليه بمزيج من الحب والكراهية. «إني آسفة لأنني أفسدت خططك، ولكنك لم تعد بحاجة إلي في بلفادير.»

«هذا لا يعني أنني لم أعد أريدك.» بدا صوته ضعيفاً وهو ينظر إليها. «إلا إذا كنت لا تريدينني أيضاً.» داعبت أصابعه بشرتها الناعمة.

«أنا لا أنكر أنك رجل جذاب وعشيق ماهر، وأنك استطعت أن تغريني بالزواج لبضع لحظات.» أجبرت نفسها على الابتسام. «لكن هذا كان البارحة. أريد أن أنسحب الآن.»

«وإذا منعتك؟» كان صوته قاسياً.

«لن تستطيع.» حاولت أن تسيطر على خوفها عندما لوى فمه بسخرية. «لدي ما يكفي من المال لأدفع لأريستيد حتى يعود بي إلى كريت، وهذا ما أنوي أن أفعله.»

«إذا سمحت لك بذلك!» تحدى قرارها. «لا يستطيع أريستيد أن يتصرف لوحده بما أنني ورثت كل المراكب من عرابي.»

«إذاً سأنتظر وصول العبارة وأذهب إلى احدى الجزر

القريبة وأحاول تدبير أمري وحظي هناك.» رفعت ذقنها بتحد لتواجه نظرته الباردة.

«أنت مصممة على تركي؟» تفحص جسدها المضطرب باحتقار. «لقد تمكنت من خداعي. اعتقدت...» توقف وقرر ألا ينهي جملته. «هل هناك شيء أستطيع أن أقوله أو أفعله لأقنعك بالبقاء؟»

بدا غير متأثر بقرارها. أرادت للحظة أن تضمه وتتوسل إليه لمنحها فرصة حتى تنسيه فردريكا. أخذت نفساً عميقاً، وأدركت أن عليها أن تقدم له عذراً يفهمه ويتقبله، إذا كانت تريد أن تحافظ على كبريائها. «لا أريد أن أتورط مع مجرم.» كذبت.

«ألم تتأخري في قول ذلك.» عرفت أن كذبتها لم تكن مقنعة من سؤاله الهادىء. «أعترف انني لم أطلعك على حقيقة ماضي في أول لقاء لنا، لكن بعد ذلك...»

«تجاوبت معك لأنك رجل جذاب، وأنا متأكدة انك تعرف ذلك.» تصلبت في مكانها عندما وضع يديه على كتفيها وكأنها شجعته. ارتجفت لكنها صممت على انهاء ما بدأته. «لا يكفي الانجذاب الجسدي لبناء علاقة متينة يا خريستو. هناك الاحترام. وأدركت أنني لا أستطيع أن أحترم رجلاً له ماض أسود.» أدارت وجهها بعيداً، حتى لا يرى دموعها. كانت ملاحظة دنيئة، لكنها أفضل من أن يكتشف الحقيقة.

خيم الصمت الذي لم يحطمه إلا لهاثها وخريستو ينظر إليها بوجه خال من أي تعبير.

«فهمت.» قال أخيراً: «أنت على حق. سأتصل بأريستيد بالنيابة عنك. لا داعي للتأخير.» لم تكن مسرورة على الرغم من انتصارها.

«شكراً لك.» همست. «ألا أفضل أن أبدأ بحزم حقائبي. هل تريد أن أخبر عائلتك أن كل شيء انتهى بيننا أم تفضل أن تنتظر حتى أرحل من كافوس؟»

«اتركي الأمر لي.» قال باقتضاب: «سأخبرهم في الوقت المناسب وسأحرص على أن تلغي مكالماتك العالية وإني آسف لأنك لن تشاهدي نهاية المسرحية.»

لكنها ستفعل! ولن تخبره بذلك أبداً.

«هذا ليس ضرورياً...» بدأت ترفض عرضه وصرخت بضعف عندما شدها إليه وغرز أصابعه في كتفيها. «لا تفعل ذلك!» حاولت ن تبعده عنها.

«أنا أدرى بما هو ضروري.»

قاومته للحظات ثم بدأت تستسلم، وهي ترتعش رفعت يدها إلى صدره وشعرت أنها فاقدة الحس.

كانت ترتجف عندما أطلق سراحها. رفع رأسه بتحد وهو يحدق إليها قبل أن يبعد عنها.

رفعت يدها إلى فمها حتى تمنع نفسها من الصراخ. لقد نالت عقوبتها. أراد أن يظهر بها خيبة أمله واحتقاره، ولقد نجح في ذلك أكثر مما تصورت، ومع ذلك ما تزال تحبه.

وعت فجأة الضجة المنبعثة من الفناء. صراخ البنتين، وقعقعة الصحون. الحياة مستمرة في بلفادير بشكل طبيعي. حياة اعتقدت مرة بأنها ستشارك فيها.

دخلت إلى غرفتها وتساءلت إذا كان خريستو سيتبعها. أسندت نفسها إلى الباب وهي تحاول أن تستجمع أفكارها.

مرت عدة دقائق قبل أن تتأكد. لم يزعجه قرارها ولم يكن في وضع يسمح له بمناقشة الموضوع أكثر. جمعت

أغراضها ووضعتها في حقيبتها. قررت أن تجلس على الشرفة وتلقي نظرة أخيرة إلى الحديقة المهجورة. بدلاً من أن تنضم إلى بقية العائلة. افترضت أن ميكوس وعائلته في طريقهم إلى الشاطىء، وأن كاليوبي منشغلة بأمور المطبخ.

كانت حزينة ومصدومة لتفكر في مستقبلها، واكتفت بتأمل الحديقة، مستمتعة بأشعة الشمس، وبالنسيم الخفيف الذي كان يداعب شعرها الناعم.

سمعت طرقاً خفيفاً على الباب بعد ساعة.

«نعم؟» كانت على وشك أن تفتح الباب عندما دخل خريستو وأغلق الباب وراءه بعنف.

«سيأخذك أريستيد إلى كريت بعد الغداء.» ابتسم. «حجزت لك غرفة في آل غريكو وهناك تعويض مادي ينتظرك عندما تصلين.»

«آل غريكو؟ ولكن...» بدأت تعترض لكنه قاطعها.

«لا تخافي. شرحت الوضع للمدير وسيرحبون بك كضيفة شرف» قال بسخرية: «وأؤكد لك أنك ستستمتعين بوقتك أكثر من قبل.»

«ما كان يجب أن تفعل ذلك.»

«ولِمَ لا؟ بإمكاني أن أتحمل النفقات رغم أن المسرحية لم تنته بعد.»

شعرت آيونا بالتوتر وهي تنظر إلى وجهه المهيب. لم يسبق لأي شخص أن تكلم معها بهذا الاحتقار. كان يهينها بقسوة.

«خريستو...» همست: «ستجد امرأة أخرى...»

«لكن ليس مثلك.» كان صوته أجش.

أجبرها على الجلوس إلى جانبه على السرير. لم تستطع

مقاومته. شعرت للحظة بأنه يحبها. عانقته. إنها تحبه فكرياً وروحياً وجسدياً.

أحست أنها على وشك أن يغمى عليها. عرفت أنه يريدها بقدر ما تريده. كانت ما تزال تحت تأثير سحره عندما ابتعد عنها، تاركاً إياها بين الجحيم والجنة.

حدق إليها بازدراء.

«لم تكذبي علي إذاً.» كان صوته قاسياً. «ساتزالين ترغبين؟ إلى أي مدى كنت ستستمرين لو لم أتوقف؟»

توردت وجنتاها وارتجفت أصابعها. لم ترد أن توقفه لأنها كانت تحبه. أدركت ذلك لكنها لم تستطع الاعتراف.

«كنت ستكتشف ذلك بنفسك لو لم تغير رأيك.»

«ما كنت سأغير رأيي البارحة لأنني كنت متأكداً من أنك ستصبحين زوجتي.»

هزت رأسها بحزن وأنهمرت دموعها على خديها.

«لا يمكنك أن تعيشي مع ماضي... وأنا لا أستطيع أن أغير ذلك. الأفضل أن ترحلي من هنا بأسرع وقت، إلا إذا كنت تفضلين أن تصبحي عشيقتي بدلاً من أن تكوني زوجتي.»

«لقد حزمت كل حقائبي.» لم تستطع أن تقرأ تعبيره وظهره مواجه لها.

«أنت لا تريدين أن تكوني عشيقتي؟ ساكون عشيقاً سخياً. سخياً في كل شيء ما عدا في حبي.» كان ملكاً لفردريكا، أم طفلته.

«السخاء لا يعني فقط دفع الفواتير يا خريستو. الحب هو

أساس الزواج الناجح... العطاء، الإخلاص، الرغبة الصادقة...»

«وهل تعتقدين أنني غير قادر على منحك كل هذه الأشياء؟» سأل بتوتر.

«بالطبع تستطيع!» قالت بازدراء حتى تخفي ألمها. «لكن ليس لي بل للمرأة التي ماتزال تحبها.»

«أي امرأة؟ عمّ تتكلمين؟»

كانت على حافة الانهيار منذ البارحة وكانت الحقيقة تزداد مرارة على نحو لا يحتمل. إذا كان خريستو سيلزم الصمت ويوافق على قرارها، ستنجح في الهرب من دون أن تعلمه بما عرفت.

لكنها لم تعد تقوى على الصمت الآن، وهو يواجهها بأكاذيبه الوقحة.

«لا تكذب عليّ يا خريستو.» قالت بانفعال: «لقد عرفت حقيقة علاقتك بفردريكا!»

لم يحاول أن ينكر ذلك على الأقل. في الواقع، صمته في وجه اتهاماتها، كانت تتوقع منه المراوغة أو الغضب. «ماذا تعرفين بالضبط؟»

لا يمكنها التراجع الآن.

«أنت مغرم بزوجة أخيك وهي تبادلك الشعور. لا تحاول الانكار. لقد رأيت الطريقة التي كانت تنظر بها إليك منذ أن وصلنا إلى هنا. أعرف أنها هي التي مثلت دور مديرة فندق بلفادير... سمعت ما قالته لك البارحة في الحديقة. لقد خططتما لكل شيء.»

حدق خريستو إليها وكأنها أصيبت بالجنون. بدا وجهه شاحباً.

«أنت لم تفهمي يا آيونا...» توقف وهو مدرك أنه سيدين نفسه بكلامه. خيم صمت عميق، قطعه طرق خفيف على الباب. فتح خريستو الباب ليواجه أخاه.

«لاحقاً، ميكوس!» تمتم وحاول أن يغلق الباب في وجه أخيه.

«الآن يا خريستو!» كان صوته قوياً. «أريد أن أتحدث إليكما، معاً.»

«ليس الوقت ملائماً.»

«دعني أدخل. لا أحتاج إلى أكثر من بضع لحظات. يجب أن أعترف.»

«دعه يدخل خريستو! كل ما سيقوله اعرفه.»

اعتقدت ان خريستو سيتجاهل توسلها لكنه هز رأسه ورجع خطوة إلى الوراء ليسمح لأخيه بالدخول.

تردد ميكوس للحظة ليستجمع شجاعته. ثم قال: «لقد تحدثنا أنا وفردريكا مطولاً ووصلنا إلى قرار. يجب أن تعرف آيونا الحقيقة بما أنها ستصبح زوجتك.»

«لا! يا ميكوس. إني أمنعك! لقد عقدنا اتفاقاً.»

«ولكننا الآن صوتان... ضد صوت واحد.»

«أنت لا تعي ما تفعله!» كان خريستو يتألم وشعرت آيونا بقلبها يعتصر تعاطفاً معه. «آيونا وأنا...»

«أنت مخطىء.» بدا صوت ميكوس حازماً وهو ينظر إلى آيونا.

«أمضى خريستو ثلاث سنوات في السجن، مع أنه كان بريئاً. أنا الذي اقترفت الجريمة وأنا الذي كان يجب أن يدفع الثمن.»

الفصل الحادي عشر

تحطم عالم آيونا ككرة زجاجية تناثرت أجزاؤها لتعكس شكلاً مبهماً، لم تقو على التحرك وهي تحدق إلى الرجلين، شاعرة بالتوتر الذي ينساب بينهما كسلك كهربائي مشدود.

حطم ميكوس الصمت، موجهاً حديثه لها مباشرة.

«كان خريستو وفردريكا مخطوبين منذ الصغر، لكنهما كانا بعيدين عن بعضهما البعض، لأن أخي كان يمضي معظم أوقاته في الخارج، بينما أنا أمضيت معظم حياتي هنا. كنا أنا وفردريكا صديقين، ونمت هذه العلاقة حتى أصبحت جدية.» توقف قليلاً.

«أصبحنا عاشقين، وشعرنا بالذنب حيال الموضوع. لكن ما كنا نشعر به كان أقوى من أن نتجاهله وإلى جانب ذلك كنا نعرف أنه ما كان مهتماً بها. ثم حملت فردريكا مني، وكان من المستحيل ألا نخبر خريستو. احتجنا إلى مساعدته وتفهمه، لأن الوضع كان ميؤوساً منه. أردت أن أتزوجها ولكن كان علي أن أستخدم مساعدة أخي بسبب العلاقة الوثيقة التي كانت تربط عائلتينا.»

«هذا يكفي يا ميكوس! آيونا غير مهتمة بماضيك.»

«الموضوع يخصكما!»

«لم يعد الآن! أخرج من هنا قبل أن أرميك خارجاً. لقد تكلمت أكثر مما هو لازم.»

تردد الأخ الأصغر، وأضعفت عدائية خريستو عزمه. تفحص وجه آيونا الشاحب قبل أن ينظر إلى أخيه. «معك حق.» قال ببطء: «ولكنها تعرف الحقيقة الآن. سأترك لك الباقي.»

استدار نحو آيونا. «أجبريه على افشاء السر وإلا سأضطر لأن أفعل ذلك بنفسي.» توقف قليلاً. «لا يحق لك أن تخفي هذا السر عن المرأة التي ستصبح زوجتك.»

خرج ميكوس من الغرفة بسرعة وأغلق الباب وراءه.

«تجاهليه.» قال خريستو. «عودي إلى كريت وانسي كل شيء. لن يغير اعتراف ميكوس شيئاً.»

«إكزاني هي ابنة ميكوس!» صرخت آيونا.

«بالطبع، الجميع يعرف ذلك.» حدق إليها وكأنها أصيبت بالجنون.

«اعتقدت بأنها ابنتك.» اعترفت بألم. تداعت كل شكوكها نحوه.

«ابنتي!» قال وقد قطب حاجبيه من الذهول.

كان فمها يرتجف وحاولت أن تجد طريقة منطقية تشرح بها استنتاجاتها. «اعتقدت بأن ميكوس تزوجها بدلاً عنك تجنباً للفضيحة...»

«يا إلهي...» ضحك. «ولذلك غيرت رأيك في أن تصبحي زوجتي؟ لأنك اعتقدت أنني أحب فردريكا؟»

هزت رأسها وشعرت بصداع. «اعتقدت بأنك أحضرتني إلى هنا كي تستر على علاقتك المستمرة بها.» تجمد خريستو في مكانه.

استدارت بعيداً عنه ودموع الندم تنهمر على خديها. ما

يزال هناك الكثير حتى تفهمه بالاضافة إلى اعتراف ميكوس ببراءة أخيه.

«آيونا... انتظري!» أوقفها خريستو كي تواجهه. «أهذا هو السبب؟» بدا صوته أجش. «اعتقدت بأنني أستغل وجودك لأخدع أخي؟»

«نعم.» لم يعد في وسعها إنقاذ كبريائها. «لا علاقة للطريقة التي كانت تنظر بها فردريكا إليك... بذلك الحب والاخلاص...» توقفت للحظة وصممت على أن تشرح له دوافعها.

لا يمكنها أن تتوقع غفرانه، لكن بامكانها أن تحظى بتفهمه. «لقد سمعت حديثكما في الحديقة البارحة.» بدا كل شيء واضحاً. حاولت أن تكبت دموعها. «أعرف أنك لا تحبني ولكنني أملت في أن نبني مستقبلاً معاً...»

«إذن عندما قلت إنك لا تستطيعين أن تتزوجي مجرماً...»

«أردت أن أنقذ كبريائي. شعرت بالإهانة من هذه التمثيلية.»

«اسمعيني آيونا.» رفع ذقنها بيده القوية، وأجبرها على النظر إلى عينيه. «عرفت الآن أنني لا أحب فردريكا وأننا لم نشترك في أي عاطفة، ولكن هذا لن يغير شيئاً. يجب أن تتجاهلي كل ما قاله ميكوس لأن هذا لن يمحو حقيقة سجني. لقد حوكمت ووجدت مذنباً.»

«لكن ميكوس لم يكن يكذب؟» فكرت بمعاناة خريستو التي تحملها بالنيابة عن أخيه. «لماذا يا خريستو؟ لماذا ضحيت بنفسك؟»

تفحص وجهها الشاحب للحظات وظنت أنه لن يطلعها على الحقيقة أبداً.

«كنت في كريت، عندما اتصل بي ميكوس وأخبرني عن حمل فردريكا. عدت إلى كافوس فوراً. كنت غاضباً ليس بسبب علاقتهما، بل لأن والد فردريكا كان رجلاً قاسياً، ولم يكن من السهل التعامل معه.» توقف قليلاً ليستجمع أفكاره.

«كان ميكوس خائفاً من مواجهة شيء، لأنه كان يعلّق آمالاً كبيرة على زواجنا. كان صديقاً حميماً لوالدها. رفيقين في المقاومة. طلب ميكوس مني أن أقابله هو وفردريكا في إحدى حانات المرفأ، لمناقشة الموضوع.

بدت ملامحه كئيبة وهو يستعيد تلك الذكريات.

«شمل أخي هناك وقرر أن يواجه والد فردريكا ويطلعه على الحقيقة.» هز كتفيه العريضتين. «اعترضت على الفكرة، لأنني كنت مدركاً لطباع والدها العنيفة. أخبرت ميكوس أنني سأشرح الأمر لوالدها بنفسي حتى أجنبها غضبه.»

«كنا نبحث في صلب الموضوع، عندما دخلت مجموعة من السياح، حاول أحدهم إهانة فردريكا ولكنني استطعت أن أوقفه عند حده.

لحقنا اثنان منهم عندما عدنا أنا وفردريكا إلى البيت. انقضا علينا ونحن نعبر غابة الصنوبر. كنت أدافع عن نفسي عندما أمسك الرجل الآخر فردريكا. كان ثملاً. أشبعته ضرباً. ومع ذلك استطاع الهرب.

«لكن ميكوس اعترف بمسؤوليته.»

تنهد. «نعم، أعرف ذلك. كان ميكوس يتعقبنا وكان غاضباً مني لأنني منعته من مواجهة والد فردريكا.»

«لكنه طلب مساعدتك.»

«المساعدة نعم. لكنه أحس بالإهانة. أراد أن يحمي فردريكا بنفسه.» أخذ نفساً عميقاً. «كنت أحاول أن أهدىء فردريكا عندما ظهر أخي ولم يكن يعي كم كان الرجل الآخر ثملاً... حتى... وجه عدة ضربات إلى رأسه ووجهه.»

«يا إلهي.» بدأ خريستو يذرع المكان جيئة وذهاباً.

«كان الرجل ممدداً على الأرض من دون حراك. ولم يدرك ميكوس خطورة الوضع. كانت فردريكا تبكي وطلبت منه أن يأخذها إلى البيت بينما ذهبت أنا لإحضار الاسعاف. عرفت أن لا أمل في انقاذه.

«أنت مجنون، لا أحد يضحي بمستقبله من أجل...» بدأت الدموع تنهمر على خديها.

«سعادة أخي مع المرأة التي يحبها والتي كانت حاملاً منه؟» حاول خريستو تهدئتها حتى توقفت عن الارتجاف.

«عليك أن تفهمي الوضع.» تمتم. «لقد قتل الرجل في معركة. ولحسن الحظ لم ير الرجل الثاني إلا وجهي. لو أنني أخبرت الشرطة الحقيقة لكانت اعتقلت ميكوس بدلاً مني. وكانت ستزداد الأمور سوءاً.»

«هذا ليس بعدل.» همست آيونا وشعرت به يلثمها على جبينها. «كان من الضروري أن يتزوج ميكوس فردريكا من أجل الطفل ومن أجل سعادة عائلتي. عاش ميكوس طوال حياته في كافوس. كان شاباً وسيماً. ما كان سيتحمل حياة السجن القاسية.»

«وأنت؟ وماذا عنك يا خريستو؟ لم تكن أكبر منه بكثير و...» رفعت يدها إلى خده. «أنت وسيم أيضاً.»

أمسك يدها المرتجفة وقبّل أصابعها قبل أن يشبكها بأصابعه. «وقوي. هدية قيّمة من والدي. وإني أدين له بها.» أراحت آيونا رأسها على صدره.

«آيونا، حبيبتي، لا تبكي.» قال برقة: «لم أكن بريئاً تماماً. كنت أفكر في نفسي دائماً، ولم أع ذلك إلا عندما اعترف ميكوس لي بمشاعره. لم أكن أهتم بأحد. كاليوبي التي كانت تحبني كما لو كنت ابنها من لحمها ودمها، ثيو الذي أراد أن يصنع مني رجلاً قوياً... ما كانت النتيجة؟ رجل من دون قلب. لا يهمه سوى أن يمتع نفسه بملذات الحياة... حتى القتال، كان بامكاني أن أمنعه لو أنني استعملت رأسي بدل قبضتي.»

«لست مسؤولاً عن موت الرجل، مهما كنت ومهما فعلت. كان يجب أن يتحمل ميكوس...»

«لم أعطه الفرصة. لقد أطاعني كما كان يفعل عندما كنا ولدين. أخذ فردريكا إلى أثينا عندما انتشر الخبر. مرضت هناك وكادت أن تخسر إكزاني. بقيت في المستشفى لأسابيع. كان عنده ما يكفيه من الهموم، من دون أن يحاول إقناعي بالعدول عن قراري.»

«إني لا أشعر بأي تعاطف معه.»

«بخلاف ذلك، صحيح أن عقوبتي انتهت لكن ميكوس سيظل يدفع الثمن حتى يوم مماته. فهو يحمل عبئاً ثقيلاً. عبء الصمت والشعور بالذنب. إنه يعاني كثيراً. وما فعله منذ دقائق تطلب جرأة كبيرة.»

«لكن والدك... خريستو! يجب أن يعرف بما فعلت!»

«لا.» ابتسم لها. «بدأنا نتغلب على مشكلاتنا. لن

تجلب الحقيقة إلا المزيد من الألم واليأس للجميع.»

«هل ما تزال تريدني؟» سألت بضعف: «بعد كل تلك الكلمات الفظيعة التي تفوهت بها؟»

«إني قاضٍ عادل.» قال بنعومة. «ومستعد لأن أسمع دفاعك وأجعلك تقسمين.»

«لكنها ما تزال تحبك يا خريستو!»

«كأخ فقط.»

«تحبك كشخص منحها لحظات الحب والفرح... مع زوجها.»

«تماماً. يجب أن تتصادقي معها. صديقتي كانت سعيدة جداً عندما اتصلت بها وأخبرتها عنك. وافقت على أن تكذب بالنيابة عني.»

سكت ثم قال مستطرداً:

«أحببتك من أول نظرة. لكنني كنت خائفاً من نفسي ومن حياتي السابقة. حاولت جاهداً أن أسيطر على مشاعري.» هزت رأسها. «غضبت كثيراً عندما عدت إلى آل غريكو ولم أجدك. كنت أنوي أن أفعل المستحيل حتى أحتفظ بك.»

«هل أنت متأكد؟»

«زواج من دون حب متعة فارغة، ترضي النفس لكنها لا تشبع الروح. درس تعلمته من فردريكا بسرعة. ولذلك حرضت ميكوس على قول الحقيقة. أحبك يا آيونا. انتظرت طويلاً حتى أنطق بتلك الكلمة. ليس لأنك جميلة ومرغوبة، أو لأنك أثرت حواسي أو لأنك تتكلمين لغتي، أو لأنك كسبت ود والدي. لأن رجولتي تكتمل عندما أكون معك. لا أريد أن أخسر هذا الشعور أبداً.»

«خريستو...» همست باسمه.

«انتظري!» بقيت بمفردها لبضع لحظات ثم عاد وفي يده وردة. «لقد قلت لي مرة إن بإمكاني أن أشتريك بوردة.» هزت آيونا رأسها بفرح.

«نأمل أن يتصل والدك بنا قريباً. لم أكن أتوقع نهاية سعيدة عندما جئت إلى غرفتك ولن يرتاب أحد في أنني أكون الوالد الشرعي لوريث بلفادير القادم.»

«سيوافق... إنني متأكدة من ذلك. يجب أن نتصل بأريستيد وبآل غريكو...»

عبست. «ما الذي قلته المدير حتى جعلته يغير رأيه؟»

«قلت له إنك مثال للطهارة وإنني مساهم مهم في الشركة التي تمتلك الفندق.»

«تمتلك شركة فارادكسيس للبناء آل غريكو؟» حدقت إليه باندهاش. «لماذا لم تخبر مانوليس بذلك؟»

«هذا ما كنت أنوي أن أفعله عندما تدخلت.»

«إذاً كل ما فعلته ذهب سدى!»

«لا تقولي ذلك. لقد حدد تصرفك المتهور، مستقبلي... مستقبلنا.»

«يجب أن أفكر في ذلك. سأعلمك بقراري عندما ألغي الحجز.» حاولت أن تنهض من السرير لكنه منعها. احتياجات الزواج أهم من أي شيء ومن أي شخص!»

عرفت آيونا أن باستطاعتها أن تغفر له كل شيء، وأنها ستبقى معه إلى الأبد حتى يوم مماتها.

تمت